349

HARLEQUIN

روايات أحلام

عندما ابتسم الليل

جيسيكا هارت

www.elromancia.com
رومانسية

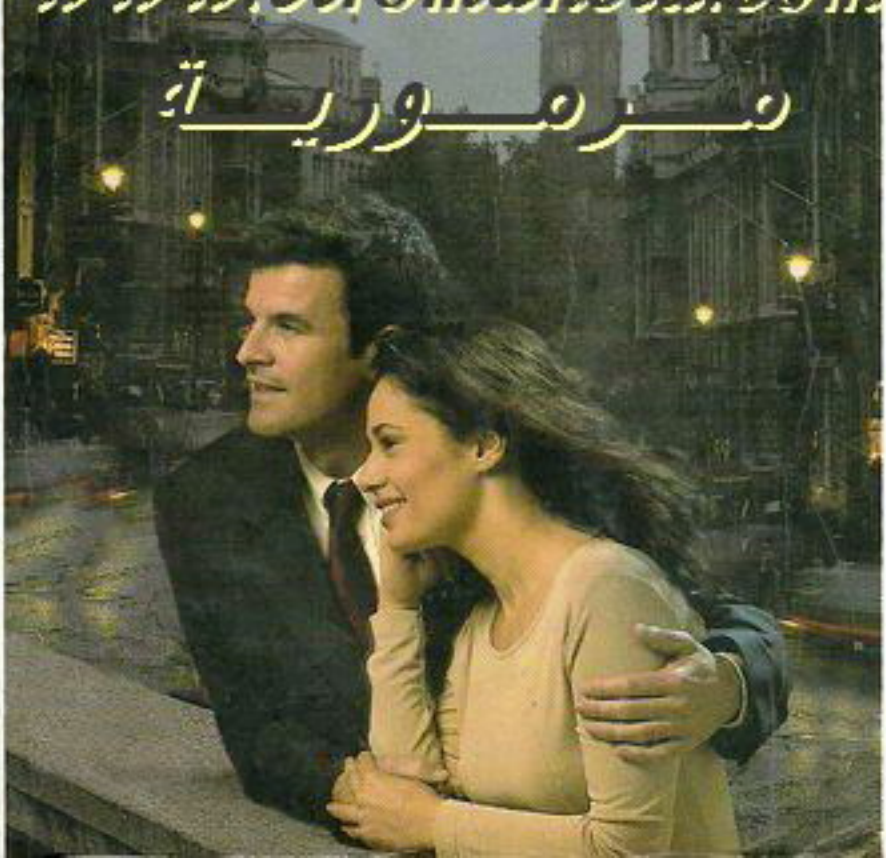

عندما ابتسم الليل

حظ كايت سافيدج العاثر جعلها تعمل لدى مدير حوّل حياتها إلى جحيم . لعله أجمل رجل رأته في حياتها . لكنه يجعلها تكره الساعة التي عملت فيها لديه 24ساعة في اليوم . 7أيام في الأسبوع !

وفي اليوم الذي أراد فيه أصدقاء كايت أن يروّحوا عنها قليلاً . دعوها إلى لقاء رجل أرمل لا تعرفه . ولم يكد نظر كايت يقع على الرجل الذي كان بانتظارها حتى أحست بصدمة قوية . الرجل الغامض الذي يقف أمامها ليس سوى فيني ماكبرايد ... مديرها !

صحيح أن كايت مستعدة دائماً للقبول بالتحديات .. لكن أن تتورط مع رئيسها ! هذا ما لم يكن بالحسبان !

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-262-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Blind - Date Proposal
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Jessica Hart 2003*
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 262 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

جيسيكا هارت

تنقلت جيسيكا هارت من مهنة إلى أخرى، قبل أن تبدأ الكتابة لتؤمن تكاليف إجازة في التاريخ تنوي تحصيلها.

عملت في البداية كنادلة ثم كمساعدة منتج مسرحي، وطاهية وسكرتيرة تحرير لنشرات الأخبار، كما شاركت في بعثات إلى أميركا ودرست اللغة الإنكليزية. عملت أيضاً في بلدان مختلفة مثل فرنسا وأندونيسيا وأوستراليا والكاميرون.

تعيش جيسيكا هارت اليوم في شمال إنكلترا حيث تقتصر هواياتها على تناول المأكولات الشهية والمشروبات اللذيذة والسفر، متى استطاعت ذلك، إلى الأماكن التي تجد فيها طعاماً لذيذاً، كذلك إلى البلاد الصحراوية والمدارية.

١ ـ موعد مع المجهول

ـ هل تعرفين كم الساعة الآن؟

رفع فين بصره وقد بدا العبوس على وجهه ما إن قرعت كايت الباب بيد مرتجفة. نظرت إلى ساعتها: «إنها... العاشرة إلا ربعاً تقريباً».

ـ ومتى يفترض بك أن تبدئي عملك؟

ـ عند الساعة التاسعة.

أدركت كايت بأن خديها متورّدان إذ شعرت بتوهجهما بعد أن صعدت السلالم راكضة وهي في طريقها إلى المكتب. حتى إنها تجاوزت موظفة الاستقبال بسرعة وهي تلهث ما جعل هذه الأخيرة تنظر إليها بذهول. في مكان ما، وهي في طريقها، توقفت في الردهة لتلتقط أنفاسها، وألقت نظرة متردّدة على صورتها في إحدى المرايا، لكنها كانت كافية لتدرك أن شعرها البني ذي الخصلات المتجعدة قد أصبح عبارة عن كتلة متشابكة بشكل عشوائي بعد أن عبث به الهواء.

إنها ليست بداية جيدة، كما أن مظهرها ليست متكافئاً البتة مع مظهر فين في بذلته الرمادية وقميصه الأنيق. لطالما فكرت كايت أن رئيسها الجديد يبدو صارماً من نواح عدّة، فملامح وجهه تبدو قاسية، عيناه الرماديتان فولاذيتي النظرات، وهو يزم شفتيه باستنكار، كما يفعل الآن كلما نظر إلى كايت. قالت كايت بأنفاس مقطوعة: «أعرف أنني تأخرت، وأنا آسفة حقاً».

وأمام نظرات فين غير المشجعة، اندفعت في شرح طويل ومعقد عن

سبب تأخيرها، فقد التقت وهي في طريقها سيدة تائهة عن طريقها ولا فكرة لديها عن كيفية التوجه عبر شبكة الأنفاق المعقدة، وأخيراً أنهت كلامها: «لم أستطع تركها هناك، فاصطحبتها إلى بادينغتون وأرشدتها إلى القطار الذي يجب عليها أن تستقله».

ـ لكن بادينغتون ليست على طريقك إلى هنا.

ـ أعرف، ولكن...

وتابع فين يقول بالنبرة المتشككة نفسها: «حتى إنها تقع في الاتجاه المعاكس تماماً».

ـ ليس تماماً.

قالت كايت ذلك وهي تحاول أن تستعيد إلى ذهنها خريطة الأنفاق.

ـ إذن، بعد أن قطعتِ منتصف الطريق إلى هنا عدت وذهبتِ في اتجاه مختلف تماماً، وأنت تعلمين أنك بذلك لن تصلي إلى عملك في الوقت المحدد؟

احتجت كايت: «كنت مضطرة لذلك، فالمرأة بدت في غاية القلق، وكان على أحدهم أن يهتم لأمرها»

وتذكرت ساخطة: «لغتها الإنكليزية ليست جيدة، وقاطع التذاكر لم يكلف نفسه عناء مساعدتها».

نظر إليها فين بسأم وقال: «أنت مخطئة إذا ظننت أنني قد أهتم لما تقولينه. الأمر الوحيد الذي يهمني الآن حقاً هو حسن سير العمل في هذه الشركة، وهذا ليس بالأمر السهل إذا كانت مساعدتي الشخصية تدور في الأنحاء حين يطيب لها ذلك».

ثم أضاف بحدّة: «أليسون كانت تصل دوماً قبل التاسعة بعشر دقائق. كان بإمكاني أن أعتمد عليها بصورة دائمة».

لكن ما يثير الدهشة أن أليسون أظهرت من الإهمال ما يكفي ليجعلها تكسر رجلها، تاركة فين ليتدبر أمره من دونها لمدة ثمانية أسابيع. لم يكن

ذلك سهلاً عليه، فقد فشلت حتى الآن فتاتان في الوصول إلى مستوى أليسون في العمل، وغادرتا المكتب باكيتين. وفوجئت كايت كيف تمكنت هي من الاستمرار في العمل معه للأسبوع الثالث على التوالي. أما الآن، فمن التعابير الصارمة على وجه فين، يبدو أن هذا الأسبوع سيكون الأخير.

لا يفاجئها أن المرأتان الأخريان لم تتمكنا من الصمود، ففين ماكبرايد يتميز برداءة الطبع كما أنه يملك لساناً لاذعاً متهكماً. ولو أنها ليست بحاجة ماسة إلى هذه الوظيفة لغادرت هذا المكتب على الفور هي أيضاً. قالت بتجهم: «قلت لك إني آسفة».

ثم تابعت: «على الرغم من أنني لست نادمة على تقديم المساعدة لتلك المرأة».

لم يبدُ التأثير على فين. بل رمقها بنظرة خاطفة من رأسها حتى أخمص قدميها. ثم قال بفتور: «أنا أشجع موظفيّ على القيام بما يجدر عليهم القيام به وأدفع لهم لقاء عملهم. أما أنت، فلا تظني أنني أدفع لك أجراً لكي تتسكعي في الجوار وتلهي الموظفين الآخرين عن عملهم طيلة النهار».

احتجت قائلة: «أنا لا ألهي أحداً عن عمله».

ـ لقد بدا لي الأمر كذلك، فأنت تمضين الكثير من الوقت متسكعة في الممر أو في المكاتب الأخرى.

قالت كايت غاضبة: «هذا ما يسمى «بناء علاقات جيدة مع الآخرين» وهذا ما يفعله الناس عادة. لكنك لا تعرف ذلك بالتأكيد، إذ إن العمل في هذا المكتب أشبه بالعمل مع رجل آلي»

ثم تابعت وقد نسيت للحظة كم هي بحاجة إلى هذه الوظيفة: «أعتبر نفسي محظوظة إذا سمعت منك كلمة «صباح الخير». حتى إنها تحتاج إلى تفسير لتصبح مفهومة، فأنت تقولها غمغمة».

قطّب حاجبيه الداكنين ورمقها بنظرة مروّعة: «لم تتذمر أليسون من ذلك قط!»

www.elromancia.com

قالت كايت بنبرة لاذعة: «ربما تفضل أليسون أن تُعامَل كأي قطعة أثاث في المكتب، أما أنا فلا. ولا يضيرك أن تظهر بعض الاهتمام من وقت إلى آخر».

حملق بها فين، ما جعل كايت تتساءل إن كان أحدهم يجرؤ على مناقشته هكذا. يبدو أنه ليس معتاداً على ذلك، لذا بدا متفاجئاً بكلامها. وسرعان ما قال فين بحدّة: «لا وقت لدي أضيعه في مجاملتك».

قالت رافضة أن تبدي خوفها: «لا يلزمك الكثير لتكون لطيفاً، يمكنك أن تبدأ بكلمات بسيطة مثل «كيف حالك»؟ أو «عطلة نهاية أسبوع سعيدة» وبعد أن تعتاد على ذلك يصبح بإمكانك استعمال جمل أكثر تعقيداً مثل «شكراً لمساعدتك لي طيلة هذا اليوم».

قال متعمداً إزعاجها: «لا أراني بحاجة إلى هذه الجملة الأخيرة ما دمت تمضين الوقت في المكاتب المجاورة، ثم إنني لست مضطراً إلى تغيير عاداتي من أجلك. كما أود أن أذكرك بأنني الرئيس هنا، وإذا كنت لا تستطيعين الاستمرار في العمل دون الحصول على اهتمام خاص من الأفضل أن تقولي ذلك الآن، كي أبحث عن مساعدة جديدة قبل يوم الإثنين المقبل».

كان ذلك كافياً لإخماد ثورة غضب كايت، فهي لا تستطيع المخاطرة بخسارة هذه الوظيفة. لذا قالت بسرعة: «طبعاً، استطيع الاستمرار. لكنني لا أحب هذه الطريقة».

ـ ليس عليك أن تحبيها، بل عليك أن تعتادي عليها فقط. والآن، هل يمكننا أن نبدأ العمل؟ لقد أضعنا ما يكفي من الوقت لهذا الصباح.

بالكاد تسنى لكايت الوقت لتخلع عنها معطفها قبل أن يبدأ فين بإملاء نصوص طويلة منهكة عليها، متوقعاً منها أن تكتبها بسرعة قصوى. شعرت بالغليان في داخلها فيما هي تحرك قلمها فوق الورقة، وساورها شعور بالظلم. بالكاد تمكنت من كبت تنهيدة ارتياح حين رن جرس الهاتف.

أخيراً، حظيت باستراحة قصيرة!

راحت تراقبه خلسة من تحت رموشها، كان يصغي إلى محدثه على الطرف الآخر من الهاتف وهو يرسم، دون انتباه، مربعات سوداء على قصاصة من الورق موضوعة على المكتب.

فكرت كايت أن الرسم العبثي يكشف الكثير من شخصية المرء، فما الذي تعنيه المربعات السوداء يا ترى؟ إنها على الأرجح تدل على شخص يعاني من الكبت الشديد، وذلك يناسب تماماً شخصية فين وتعابيره الصارمة. لكن ذلك لا يتناسب مع تلك الطاقة البدائية التي تنبعث منه، ولامع فمه... آه، يا لها من فكرة... أبعدت نظرها بسرعة عنه، وراحت تنظر إلى صورة موضوعة ضمن إطار على مكتبه، وهي اللمسة الشخصية الوحيدة في ذلك المكتب الذي يتميز بالصرامة. من مكانها لم يكن بمقدورها أن ترى سوى الإطار، لكنها تعرف أنه يحتوي على صورة لامرأة رائعة الجمال ذات شعر أسود وعينين زرقاوين واسعتين وهي تحمل طفلاً رائعاً وكلاهما يبتسم للكاميرا.

فكرت كايت أن هذه المرأة لا بد أن تكون زوجة فين، واستغربت أن يتحلى باللباقة والكياسة اللازمتين كي يطلب يد أي امرأة للزواج، فما بالك بتلك المرأة البالغة الجمال! يصعب عليها أن تتخيله وهو يبتسم لطفل أو يقبله، حتى يحمله بين يديه، أما الحب...

يا لأفكارها الغريبة! أحسّت بارتعاشة على امتداد عمودها الفقري فاستيقظت من أفكارها لتجد أنها تحدّق في عيني فين الرماديتين الجامدتين. يبدو أنه أنهى مكالمته الهاتفية فيما كانت هي مستغرقة في تأملاتها، وراح يراقبها وقد علا وجهه تعبير ينم عن السخط والإذعان معاً.

ـ هل أنت مستيقظة؟

علا خدّي كايت تورد باهت، وعدّلت من جلستها ثم التقطت مفكرتها من جديد: «نعم».

ما إن أنهى عمله معها حتى خرجت إلى مكتبها حاملة معها مزاجها العكر لتصبه فوق لوحة مفاتيح الكومبيوتر. بعد قليل رن جرس الهاتف ورفعت السماعة، ودون أن تكلف نفسها عناء التفوه بالمجاملات المعهودة، قالت: «نعم؟»

ـ أنا فوبي. ما الأمر؟ يبدو عليك الانزعاج.

أجابت كايت متذمّرة: «إنه رئيسي في العمل، فهو شخص فظ ومزعج. أعلم بماذا تفكرين، العمل لدى سيليا لم يكن أفضل لكن رئيسي هذا لا يطاق حقاً».

قالت فوبي مشجعة: «على أي حال، لا أظنه خسيساً مثل رئيسك السابق».

غضّنت كايت أنفها وهي تتذكر خروجها المذل من وظيفتها السابقة. فرئيسها السابق لم يكلف نفسه عناء الإصغاء إلى أقوالها بعد أن سبقها إليه ساب المدير التنفيذي، وصدّق كلّ ادعاءاته أما هي فلم تكن سوى مجرد سكرتيرة عادية. قالت بنبرة متّزنة: «كلا، لا أعتقد أن بالإمكان وصفه بالخسيس. لكن ذلك لا يجعل التعاطي معه أكثر سهولة».

ـ هل هو جذاب؟

أكّدت كايت بتذمّر: «تماماً. لكنه دائم التجهّم، وكأنه يقول عملي هو حياتي. لا أظنك تحبين هذا الصنف المتزمت من الناس».

ـ طبعاً! لا يمكنك أن تنعتي جيب بالتزمت مطلقاً.

وضحكت المرأتان معاً ما جعل كايت تشعر أنها أفضل حالاً من ذي قبل.

شعرت كايت بالسرور لسماع نبرة السعادة في صوت صديقتها، فإن التغير الذي طرأ على فوبي بعد زواجها من جيب منذ بضعة شهور بدا ملحوظاً. قالت فوبي: «أتصل بك فقط لأذكرك بموعد العشاء الليلة. سوف تأتين، أليس كذلك؟»

ـ طبعاً.

لكن فوبي أحسّت بالتردد في صوتها فحثّتها قائلة: «ما الأمر؟»

ـ حسناً، لمحت بيلا إلى أنك دبّرت لي موعداً مع أحدهم هذه الليلة.

شعرت فوبي: «ما كان عليها أن تخبرك. لقد دعوتها هي وجوش أيضاً لكي يبدو اللقاء طبيعياً، لكنها قالت بأنها التقت مؤخراً بصديق، سوف يصطحبها الليلة إلى أحد النوادي الليلية، لذا أخبرتها بالأمر. على أي حال، جوش سوف يأتي، لذا بالكاد يمكنك أن تسمي ذلك موعداً بين شخصين».

ـ لِمَ لم تخبريني بالأمر من قبل؟

ـ لأنني أردت أن تبدوا طبيعيين كلاكما. وأنا أعلم أنك لن تكوني كذلك إذا ما شعرت بالتوتر ورحت تفكرين أكنت ستعجبينه أم لا.

لم تقتنع كايت بكلامها تماماً، لكنها قالت: «حسناً، ماذا قلت له عني؟».

ـ إنك مساعدة شخصية قديرة، وإن بإمكانك القيام بالكثير من المهمات إذا أردت ذلك. على أي حال، أظنه سيعتمد على تقييمه الشخصي، ولست واثقة من أنه قد تأثر بما سمع عنك.

وأنهت فوبي كلامها بنبرة محايدة: «نحن قلنا له الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة».

علّقت كايت بنبرة فيها الكثير من السخرية: «آه، الحقيقة! وما هي هذه الحقيقة بالتحديد؟».

ردّت فوبي بجدية: «إنك لطيفة، مسلية، وجذابة.. أي باختصار إنك امرأة رائعة».

ربما عليها أن تستعين بصديقتها فوبي لتحسن صورتها في نظر رئيسها فين ماكبرايد. قطبت جبينها قليلاً ما إن أدركت أنها، هي أيضاً، تعبث بالرسم على ورقة أمامها وهي تتحدث إلى فوبي. لكنها على الأقل لم ترسم

www.elromancia.com

مربعات سوداء، لقد رسمت منظرها المفضل وهو عبارة عن مشهد لغياب الشمس على شاطىء استوائي حيث تبدو شجرة نخيل وبحيرة يعلوها خطان متموجان يظهران حركة مياهها الضحلة. ما الذي يكشف عنه هذا الرسم يا ترى؟ على الأرجح أنه يدل على أنها امرأة حالمة ميؤوس من أمرها.

كبتت كايت تنهيدة كادت تفلت منها، وأضافت غصناً آخر إلى شجرة النخيل وقالت: «لكن، ألن يدفعه ذلك إلى التساؤل لما أحتاج إلى من يدبّر لي موعداً إذا كنت امرأة رائعة كما تقولين؟ لِمَ لا يتساقط الرجال عند قدمي حيث أذهب؟».

وضعت قلمها وأجبرت نفسها على التركيز. قد تكون تلك إشارة تساعدها على التوقف عن التفكير بساب الخارق. عليها أن تبدأ من جديد وتبذل جهداً لتلتقي بشخص آخر، عليها أن تستيقظ من أحلامها وتعيش الواقع.

ـ حسناً، كيف يبدو ذلك الرجل؟

اعترفت فوبي: «أنا لم ألتقِ به بعد، إنه صديق قديم لجيب».

ـ كم عمره بالضبط؟

ـ في الأربعينات، كما أظن.

علّقت كايت بنبرة تشوبها السخرية: «لن يلبث أن يصل إلى أزمة منتصف العمر».

قالت فوبي باتزان: «لقد مرّ بما يكفي من الأزمات في حياته، إنه أرمل. ماتت زوجته حين كانت ابنتهما طفلة صغيرة، ومنذ ذلك الحين وهو يبذل جهده لتربيتها بمفرده».

سرعان ما ظهر التأثر على كايت فأبدت تعاطفها وقد شعرت بالذنب بسبب ملاحظتها السابقة: «يا للمسكين! لا بد أن الأمر كان صعباً عليه».

ـ حسناً، أظن ذلك. يقول جيب إنه كان يحب زوجته كثيراً، لكن ذلك حدث منذ ست سنوات. أما الآن فأن ابنته أصبحت في سن تحتاج فيه إلى

امرأة ترعاها. وبما أنك تشكين من قلة الصحبة، اقترح جيب أن ندعوكما إلى العشاء، وهكذا تتعرفان إلى بعضكما البعض. إنها ليست فكرة سيئة.

قالت كايت بتشكك: «لا أعلم إن كنت أصلح كي أقوم بدور الأم البديلة، فأنا لا أعرف شيئاً عن الأطفال».

لكن فوبي لم توافقها الرأي: «هذا هراء، أنت لطيفة جداً مع الحيوانات، ولا بد أنك كذلك مع الأطفال. إنهم يحتاجون إلى الحنان والعطف وأنت تملكين قلباً رقيقاً عطوفاً. ألا ترين كيف تهتمين بصغار البط؟».

احتجت كايت: «لكنني لا أرغب بالخروج برفقة صغار البط بل أريد شخصاً جذاباً مثيراً ووسيماً لأخرج برفقته».

شخص يشبه ساب.

وكأن فوبي أدركت ما تفكر به فقالت بصرامة: «لا! ليس هذا ما تريدينه، بل تريدين شخصاً لطيفاً يهتم بك».

تنهدت كايت: «لِمَ لا أستطيع الحصول على رجل جذاب، مثير، وسيم ولطيف في آن معاً؟».

قالت فوبي باعتزاز: «لأنني تزوجت هذا الرجل. والآن اسمعي، لقد مرّ الرجل بأوقات عصيبة لذا كوني لطيفة معه».

قالت كايت متذمّرة: «حسناً، ما اسمه؟ على أي حال...»

وتوقفت عن متابعة الكلام ما إن فتح باب مكتب فين. ثم استأنفت قائلة: «لقد جاء السيد «متذمّر». من الأفضل أن أقفل الخط... لا يجدر بي استخدام الهاتف لمكالماتي الشخصية. أراك لاحقاً».

ووضعت سماعة الهاتف أمامها بسرعة. نظر إليها فين نظرة متشككة وسألها: «مع من كنت تتحدثين؟».

اندفعت كايت تخبره قصة مختلفة تماماً عن الحقيقة، مدّعية أن المتصل شخص يعمل في المحاسبة كان قد التقى بأليسون خلال رحلة تزلج، وهو

www.elromancia.com

يود أن يرسل إليها بطاقة بريدية. وبعد أن أسهبت كايت في ذكر التفاصيل أنهت كلامها: «قلت له إن بإمكانه أن يرسلها إلى هنا وسوف نتكفل نحن بإرسالها إلى أليسون».

بدا الغضب على وجه فين فيما هي مسترسلة في حديثها، وما إن وصلت إلى نهايته حتى تنهد قائلاً: «ليتني لم أسألك قط، لقد أضعتِ ربع ساعة من حياتي هدراً».

قطبت كايت جبينها باستهزاء: «لسنا نجري عملية جراحية في الدماغ هنا. لا أرى أن الخمس عشرة دقيقة ستشكل فرقاً كبيراً».

ظهرت على وجه فين نظرة قاسية وقال: «في هذه الحالة، لن تمانعي في البقاء هنا بعد انتهاء دوامك كي تعوّضي عن الساعة التي تأخرتها صباحاً. لدينا مشروع في غاية الأهمية ونحن بحاجة إلى إنهائه الليلة وإرساله عبر الفاكس إلى الولايات المتحدة قبل صباح الغد».

أجابت كايت دون أن يبدو عليها الندم مطلقاً: «أخشى أنني لا أستطيع أن أتأخر. فلدي موعد مع صديق هذا المساء».

قال فين مبدياً دهشته: «وهل لديك صديق»؟.

ألا يكفيها أنها مضطرة إلى احتمال قسوته، حتى يفكر أيضاً أنها غير قادرة على إقامة علاقة مع رجل؟ شمخت كايت بأنفها وقالت: «نعم، بالطبع».

كانت مصمّمة على إقناعه أنها امرأة مرغوبة وليست فقط مساعدة شخصية فاشلة كما يظن هو، فتابعت تقول بثقة: «في الواقع، سوف يصطحبني الليلة إلى مطعم مميّز، وأظن أنه سيطلب يدي للزواج».

رفع فين حاجبه بازدراء ودون أن يكلف نفسه عناء إخفاء عدم تصديقه لكلامها قال: «أحقاً؟»

فكرت كايت ساخطة، يا له من فظ! ضاقت عيناها البنيتان وهي تردّ بحماسة: «نعم. ولهذا السبب بالذات أنا أعمل في وظيفة مؤقتة. فمنذ أن

التقيت به...»

وراحت تبحث بسرعة عن اسم لصديقها الوهمي، ثم تذكرت صديق بيلا. صحيح أن صديق صديقتها محظور عليها، لكن لا بأس إذا ما استعارت اسمه. وتابعت بعد برهة قصيرة: «... ويل، شعرنا أننا مناسبان لبعضنا البعض».

ثم قررت أن بإمكانها أيضاً استعارة مهنة ويل لتتابع قصتها: «ويل هو خبير اقتصادي. لذا لم أشأ أن أرتبط بوظيفة دائمة لأنه قد ينتقل في أي لحظة للعمل في نيويورك أو طوكيو. وهو يقول لي دائماً «عزيزتي، لا حاجة بك لأن تذهبي إلى العمل يومياً» لكنني أفضل أن تكون لي استقلاليتي المادية. ألا توافقني الرأي»؟.

أجاب فين بنبرة لا تخلو من السخرية: «لا أعتقد أن مدخولك من وظيفة مؤقتة سيشكل أي فرق ما دمت تعيشين مع خبير اقتصادي»

قالت كايت بمرح: «إنها مسألة مبدأ».

جعلتها فكرة العيش بترف تشعر بالبهجة. وما لبث فين أن استدار متوجهاً إلى مكتبه قائلاً: «يمكنك إذن أن تجعلي الوصول في وقت مبكر إلى المكتب «مسألة مبدأ» أيضاً، فذلك سيكون تغييراً إيجابياً».

من المؤسف حقاً ألا تتمكن من العيش بارتياح في حياتها اليومية، بطريقة تشبه تلك التي في خيالها. هكذا فكرت كايت بكآبة فيما كان الباص يسير بها ببطء شديد خلال الازدحام وهو يصدر أصواتاً مزعجة، أليس رائعاً أن تعود إلى المنزل فتجد بانتظارها رجلاً ساحراً يملك الكثير من المال؟ رجل يقول لها أن لا داعي لأن تعمل مع أشخاص مثل فين ماكبرايد!

ها قد بلغت الثانية والثلاثين من عمرها ولم تحقق في حياتها شيئاً هاماً، لا مهنة ولا منزلاً خاصاً بها ولا علاقة مع صديق. حتى إنها لم تتمكن من اتباع نظام غذائي صارم لتحافظ على رشاقتها. عندما تتعرض صديقاتها للفشل في الحب وتنفطر قلوبهن يتناقص وزنهن تلقائياً، أما هي فقد عوّضت

www.elromancia.com

عن خسارتها لساب ولوظيفتها معاً قبل عيد الميلاد بوجبة غنية مترفة. يا لحظها العاثر!

بعد تشجيع صديقتيها فوبي وبيلا لها، اعتقدت كايت أن سوء حظها هذا سوف يتغير على أبواب السنة الجديدة، وأن حياتها ستكون أكثر إشراقاً، وسوف تجد وظيفة أفضل وصديقاً أفضل... لقد عاهدت نفسها على ذلك. كما ستبدأ بتخفيف وزنها فتذهب إلى النادي لممارسة الرياضة وتغدو أكثر تحكماً بنفسها.

بدا الأمر سهلاً في البداية، لكن... ها قد بدأ شهر شباط وما زالت قراراتها تلك كلاماً في الهواء، ولم يتحقق منها شيء بعد. كان عليها أن تجد وظيفة على الأقل حتى لو كانت وظيفة مؤقتة! كانت كايت على وشك أن توقع عقداً للعمل في أحد المقاهي المحلية حين حصلت الحادثة لأليسون وكسرت ساقها...

قرّرت كايت في سرّها أن تبدأ منذ الغد، غداً سوف تشتري جريدة وتفتش عن وظيفة جديدة، وسوف تبدأ بممارسة الرياضة وهي في طريقها إلى المنزل، ثم تطهو لنفسها وجبة عشاء خفيفة.. غداً سوف يشهد ولادة كايت جديدة..

عندما دخلت إلى المنزل كانت بيلا تتناول التوست في المطبخ وقد رفعت شعرها بعد أن لفت خصلاته على بكرات لتصففه في ما بعد. منذ أن تزوجت فوبي وانتقلت للعيش مع جيب، والفتاتان تعيشان في المنزل ومعهما قط كايت الدائم التجهم. كان القط ينتظرها أمام البراد بفروغ صبر. وعلمت كايت أنها لن تستطيع الجلوس أو حتى تغيير ثيابها قبل أن تطعمه، فهو مستعد لأن يمزق كاحليها بمخالبه إذا ما شعر بإهمالها له. أخرجت من البرّاد علبة تحتوي على طعام للقطط وملأت صحنه قبل أن تخلع معطفها.

نظرت إلى صحن التوست بحسد وقالت لبيلا: «ظننت أنك ستخرجين هذا المساء»

تستطيع بيلا أن تأكل كل ما تشتهيه ودون أن يؤثر ذلك على وزنها. وبيلا هذه فتاة في غاية الجمال، شقراء، ذات عينين زرقاوين وساقين طويلتين وتتحلى بمزاج مرح. إلا أن أسوأ ما فيها، كما تقول كايت وفوبي، هو أن لا أحد يستطيع أن يكرهها.

ـ نعم، لكن ويل سيصطحبني إلى مطعم من النوع الذي يقدم وجبات باردة ومقسمة إلى حصص صغيرة، ففكرت بأن أتناول بعض الطعام الآن كي لا أشعر بالجوع هناك.

يا لبيلا المحظوظة! سوف تخرج برفقة ويل الوسيم، أما هي فسوف تلتقي بأرمل عجوز يحتاج إلى من يعطف عليه.

من يدري! ربما تلتقي برجل مذهل يغيّر حياتها.

جعلتها هذه الفكرة تختار ثيابها بعناية فارتدت فستاناً أنيقاً ذا قبة محفورة يظهر جمال قامتها وتألق وجهها. من المؤسف ألا يكتمل جمال وجهها وامتلاء صدرها مع جسم رشيق لا تشوبه زيادة في الوزن عند الوركين. انتعلت حذاء ذا كعبين فشعرت بأنها باتت أطول قامة ما جعلها تشعر بالتحسن. لطالما فكرت كايت أن حياتها ستكون أكثر سهولة لو أنها تملك ساقين طويلتين. كل ما يلزمها هو بضعة سنتيمترات تزيد من طولها وبضعة غرامات تنقص من محيط أوراكها. فهل هذا كثير عليها؟

نظرت إل صورتها في المرآة فشعرت بالرضى عن نفسها. ولم تنتبه إلى أنها قد ضيعت الكثير من الوقت سدى، فهي لم تنظر إلى ساعتها إلا حين وصل ويل ليصطحب بيلا. عندئذٍ شهقت وقد فوجئت بأن الساعة تشير إلى الثامنة.

شعرت ببعض الارتياح لأن بيلا لم تكن جاهزة أيضاً. جلس ويل في المطبخ يقرأ الجريدة باستسلام بانتظار بيلا، ورفع يده بتحية مختصرة ما إن دخلت كايت وهي تتمايل بحذائها ذي الكعبين المرتفعين لكي تطلب سيارة أجرة. أخيراً وفي حوالى الساعة التاسعة إلا ربعاً وصلت إلى منزل فوبي.

وما إن فتحت لها صديقتها الباب حتى اندفعت تقول: «آسفة، آسفة، آسفة. أعرف أنني وصلت متأخرة، لكنني لم أتعمد ذلك حقاً. أرجوك لا تبدئي بالشجار معي الآن. لقد كان يومي متعباً للغاية».

احتضنتها فوبي لتسلّم عليها ومع ذلك حاولت أن تبدي بعض القسوة حين قالت: «هذا ما تقولينه دائماً كايت».

أخفضت كايت رأسها: «أعلم ذلك. لكنني أحاول أن أتحسن»

ثم تابعت بصوت خافت: «هل هو هنا؟ كيف يبدو؟».

ـ يبدو متصلباً إلى حد ما... لا، لا، بل متحفظاً على الأصح.

ثم تابعت: «لكنه يغدو لطيفاً بعد أن يتعرف المرء إليه، كما أن ابتسامته جذابة. أظن أنه هو نفسه جذاب أيضاً»

ـ أحقاً؟

أيكون حظها قد تغيّر؟ هدأت كايت من روعها، ثم أخذت نفساً عميقاً وتبعت فوبي إلى غرفة الجلوس. وما لبثت أن سمعتها تقول: «ها هي كايت».

لكن كايت تجمدت في مكانها ما إن رأت الرجل الذي يقف مع جيب وجوش بالقرب من الموقد. استدار الرجل لسماعه كلمات فوبي، أما هي فقد ساورها شعور بالغثيان وهي ترى تعبير الاشمئزاز على وجهه، وهو ما شعرت به هي تماماً. إنه فين ماكبرايد!

اقترب جيب منها مرحباً فحجب عنها رؤية الرجل مؤقتاً، وهتف وهو يبتسم: «كايت! وصلت متأخرة كالعادة».

ـ لقد اعتذرت لتوي لفوبي عن التأخير.

وراحت تتمنى وهي تبادله التحية أن تكون مخطئة بشأن هوية الرجل الذي يحتجب خلفه، آملة أن ترى أن الغريب هو شخص آخر غير فين ما إن يبتعد جيب عن طريقها.

لكن لا! ما إن استدار جيب واضعاً يده خلف كتفيها ليقدمها إلى ضيوفه

حتى تبخر كل شك لديها حول شخصية الضيف. كان فين يقف هناك، وقد بدا كالصخر صلابة، أما تعابير وجهه فقاسية كالغرانيت. بدا واضحاً أنه لم يشعر بالسرور لتدبير موعد له مع سكرتيرته الخاصة.

شعرت كايت بالخزي إلى حد لا يمكن تصوره. ولم تعد تعرف ما الذي تتمناه في تلك اللحظة، على رأس قائمة تمنياتها جاءت فكرة أن ليتها لم تولد على الإطلاق، وتلتها مباشرة فكرة ليت أن الأرض تنشق وتبتلعها...

هل يمكنها أن تهرب من هذا الموقف مدّعية الإغماء؟ لا يمكنها ذلك على الأرجح. هذا ما فكرت به مدركة أنها ليست من النوع الذي يصاب بالإغماء.

www.elromancia.com

٢ ـــ عالقان معاً!

حدّقت كايت إلى عيني فين مباشرة وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة، كأنها تتحداه أن يعترف بمعرفتهما السابقة ببعضهما البعض. بادلها فين التحديق بنظرات باردة كالثلج.

قال جيب: «كايت، هذا فين ماكبرايد. أخبرناه كل شيء عنك».

فكرت كايت، يا للروعة! ذلك يعني أن فين يعرف الآن كم هي تعيسة في حياتها. مدت يدها نحوه، ولم يكن أمام فين سوى أن يصافحها. ثم قالت بصوت متهدّج وهي تحاول تجاهل الإحساس الذي انتابها ما إن تلامست أصابعهما: «كايت سافيدج».

على الرغم من نفوره الواضح بدت لمسة يده دافئة ومتماسكة أكثر مما توقعت، ما جعلها تسحب يدها من يده بسرعة وهي تشعر بالاضطراب.

قال جيب بمرح: «تبدين متصلبة جداً كايت، على الأقل لست مضطراً إلى تعريفكما ببعضكما أنت وجوش».

ـ كيف حالك كايت؟ لم أرك منذ مدة.

بالرغم من شعورها المتزايد بالارتباك ردّت كايت: «أنا بخير، شكراً لك»

قالت فوبي بمرح وهي تناول كايت كوباً من العصير: «كان فين يخبرنا للتو عن معاناته الكارثية مع السكرتيرات اللواتي يعملن لديه بصورة مؤقتة، وفكرنا أن بإمكانك إعطاءه بعض الأفكار الجيدة عن كيفية التعامل معهن».

آه، لا بد أن فوبي وجيب أخبراه أنها مساعدة شخصية ممتازة... ألا

يكفي ما تشعر به من إذلال؟

أظهرت كايت ابتسامة متكلفة: «أحقاً؟ يبدو لي أن الحصول على سكرتيرات بارعات ليس أمراً صعباً هذه الأيام. ما هي مشكلتك مع مساعدتك المؤقتة»؟.

ألقى فين نظرة ذات مغزى على ساعة الحائط الموضوعة قرب الموقد قائلاً: «قبل كل شيء يبدو أنها لا تملك أي فكرة عن الدقة في المواعيد...»

لا شك أنه وصل إلى هنا عند الثامنة تماماً، حتى قبل أن يكون جيب وفوبي قد استعدا لاستقباله.. وأكمل فين: «كما لا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً».

لا يمكن الاعتماد عليها؟ هي؟ رشفت جرعة من العصير بتحدٍ ثم قالت: «يبدو أنك لا تقدم لها الحوافز الكافية لكي تعمل بجهد لأجلك. ما هي المشكلة برأيك»؟.

هز فين كتفيه: «أظنها من النوع المتكاسل. يبدو أنها تعيش في عالم من الخيال أيضاً».

احمر وجه كايت رغماً عنها لتلميحه هذا، وقد تذكرت ما أخبرته به عن موعدها مع ويل المزعوم الذي يعمل خبيراً إقتصادياً. لا بد أن جيب وفوبي قد أخبراه عن علاقتها الكارثية بساب. لكن، حتى لو لم يفعلا فقد أدرك الآن أن القصة التي أخبرته إياها ليست صحيحة. فلو كان لديها صديق يعمل خبيراً إقتصادياً لما كانت بحاجة إلى أن يدبر لها أصدقاؤها موعداً مع رجل آخر. خنقت كايت تنهيدة. هل يمكن للأمور تكون أسوأ من ذلك؟

قالت فوبي بنبرة مخلصة: «قد يكون الرؤساء نكدون أحياناً أيضاً. كايت، أخبريهم عن رئيسك المريع، إنه يبدو فظيعاً».

آه، نعم يمكن أن تكون الأمور أسوأ بعد...

قال فين وقد توترت شفتاه: «أحقاً؟ أخبرينا عنه».

www.elromancia.com

حسناً، فليكن! ها هي تجد الفرصة لتخبره عن رأيها فيه، أليس هو من سبب لها هذا الإحساس بالنفور؟

ـ إنه فظ وغير سارٍّ مطلقاً. حتى إنه لا يتحلّى بأبسط مبادىء اللياقة الاجتماعية، فهو بالكاد يكلف نفسه عناء أن يقول «صباح الخير» حتى إنني اضطررت لأن أطلب منه أن يتحدث معي بتهذيب كأن يقول «من فضلك» و«شكراً».

قال فين وقد راحت إحدى عضلات فكه تنتفض بقوة: «ربما هو مشغول جداً».

نظرت كايت إلى عينيه مباشرة وقالت: «هذا ليس مبرراً ليكون المرء عديم التهذيب».

وساندتها فوبي لتقول: «إنه يحرّم على الموظفين استعمال الهاتف لمكالماتهم الشخصية. دائماً تضطر كايت إلى قطع المكالمة في منتصفها عندما نكلمها إلى المكتب، فتقطع الحديث ما إن يفتح باب مكتبه. إنه يسبب الإحباط!».

بدا واضحاً أن فوبي لم تلاحظ ذلك التيار المتبادل من النفور المتبادل بين كايت وفين، بحيث استدارت نحو فين قائلة: «أنت تسمح لموظفيك باستعمال الهاتف أليس كذلك؟».

رمق فين كايت بنظرة خطيرة وأجاب: «أنا لا أشجعهم على ذلك».

فكرت كايت أن أفضل ما تقوم به الآن هو إظهار اللامبالاة، فمن الواضح أن الفرصة لن تتاح لها بعد اليوم لاستعمال الهاتف في المكتب... حتى إنها قد لا تعود إلى تلك الوظيفة أبداً. فتدبير موعد لها مع رئيسها هو مسألة مربكة إلى حدٍ يفوق الوصف. وهكذا قررت في المضي في الحديث حتى النهاية: «إن السماح للموظفين باستعمال الهاتف والبريد الإلكتروني أمر حيوي جداً ويرفع من معنوياتهم. إذا تعاملت مع الموظفين على أنهم بشر ولهم حياتهم الخاصة خارج إطار العمل، أظن أن

إنتاجيتهم سوف تزداد».

ردّ فين بحدّة: «لكن الإنتاجية لدينا مرتفعة لا تشوبها شائبة».

وهذه المرّة أثارت حدّته انتباه الآخرين، فراحوا ينظرون إليه بفضول ما جعله يبذل مجهوداً للتحكم في مزاجه. فقال بلهجة أكثر اعتدالاً: «هناك فارق كبير بين استعمال الهاتف لحاجات ضرورية أو لحل بعض المشكلات، وقضاء ساعات في الثرثرة عبر الهاتف مع ما يترتب على ذلك من إضاعة للوقت».

سألت كايت بنعومة: «ألا تقوم سكرتيرتك المؤقتة بما يتوجب عليها القيام به؟».

أعترف بتذمر: «بلى، لكن على طريقتها».

في محاولة واضحة لتقريبهما من بعضهما البعض قال جيب: «ربما يجدر بك أن تعملي مع فين. لا بد أن ذلك أفضل من العمل مع رئيسك الحالي، كايت».

قالت كايت وكأنها تأثرت فعلاً بهذه الفكرة: «يا لها من فكرة! هل لديك وظائف شاغرة في الوقت الحالي؟».

أجاب فين بنزق: «من المحتمل جداً أن تأخذ مساعدتي المؤقتة إجازة في الفترة القادمة، لكن لا أظن أن الأمر يثير اهتمامك. بالطبع، فأنت ذات مؤهلات عالية! أخبرني جيب وفوبي أنك أنت من يدير الشركة فعلياً حيث تعملين الآن. أنا لست واثقاً أن بإمكاني تقديم عرض يثير اهتمامك».

سخريته هذه جعلت الاحمرار يعلو خديها لكنها قالت بغطرسة: «حسناً، على أي حال أنا أفكر في الوقت الحاضر بتغيير عملي».

وإذا بالثلاثة الآخرين يقولون معاً: «أحقاً؟».

قالت وهي تدرك أن هذه فكرة سيئة: «نعم». وتابعت: «لقد سئمت من معاملتي كمخلوق من الدرجة الثانية، لذا أفكر بأن... كيف أقولها؟ أختار مهنة أقل تطلباً».

ردّد جوش مشككاً: «مهنة أقل تطلباً؟».

بدا واضحاً أنه يتساءل إن كان من المحتمل أن تتنازل عن وظيفتها الحالية.

ـ أنا أفكر بنوع من التغيير، أودّ أن أقوم بشيء مختلف عن المألوف، أستغل فيه مواهبي.

ـ وما هي مواهبك بالضبط؟

قال فين ذلك وقد رفع حاجبيه بسخرية تناقض الاهتمام الظاهر في صوته.

حسناً، ما هي المواهب التي تتمتع بها؟ شعرت كايت في تلك اللحظة أن خيالها الخصب قد خذلها وهي في أمس الحاجة إليه. إلا أن فوبي التي لا زالت تعتقد أن كايت يمكن أن تكون زوجة مثالية لفين حثتها قائلة: «إنها طاهية ممتازة».

وفي تلك اللحظة بالذات، تذكرت كايت أن وجود فين هنا يعني أنه أرمل. لقد شعرت بالصدمة حين رأته حتى إنها لم تستطع التفكير إلا بالإحراج الذي شعرت به والعداوة التي قامت بينهما. والآن شعرت فجأة بالأسى عليه، إذ أدركت أن تلك الفتاة الرائعة الجمال المشرقة الملامح في الصورة على مكتبه هي زوجته المتوفية. لا عجب أن يبدو دائماً متجهم الوجه. أحست بوخزة من الشعور بالذنب لأنها كانت تفكر دائماً أن فين فظ وقاسٍ.

واستمر الآخرون يلمّعون صورتها بحماقة، فإذا بجيب يقول: «كايت بارعة جداً في التواصل مع الآخرين، إنها تتعامل بشكل جيد مع الجميع».

قال جوش بجفاء: «ليس فقط مع البشر وإنما هي جيدة في التعامل مع الحيوانات أيضاً. فوبي، هل تذكرين ذلك الكلب الذي وجدته في النادي ؟».

ارتعدت فوبي بمبالغة: «يا إلهي، طبعاً أذكر».

فيما كشّر جوش قائلاً لفين: «لا زلت أصحو في بعض الأحيان والعرق البارد يتصبب مني وأنا أفكر بذلك الكلب المسكين. يومها واجهت كايت رجلاً حليق الرأس ذا يدين كبيرتين ورقبة قصيرة وقد غطى جسمه بالوشم. كان الرجل يزمجر بغضب ويشتم كلبه بقسوة. فقالت له كايت إنه لا يستحق أن يحتفظ بالحيوان وأخذته بعيداً عنه. يومها قلنا لكايت إنها فكرة سيئة، وإن عليها أن تدع الأمر للجهات المختصة برعاية الحيوانات. باختصار، كانت تبدو بنصف حجم ذلك الرجل لكنها لقنته درساً».

ظهرت في عيني فين ومضة من الاهتمام: «ما الذي حدث للكلب بعدئذٍ؟».

قال جوش: «لقد أخذته كايت. كان كلباً من النوع الألماني المتوحش. أنا شخصياً، لم أرغب مطلقا بالاقتراب منه، لكن كايت سرعان ما راحت تطعمه من يدها».

ثم التفت نحو كايت: «ماذا فعلت به بعدئذٍ؟».

لم تشعر كايت بالارتياح بعد هذا الإطراء الواضح من قبله، لكنها أوضحت: «أخذته إلى منزل والديّ. لقد أفسداه كثيراً حتى الآن، فغدا سميناً جداً».

رمقها فين بنظراته: «هل تظنين أن الكلب يهتم حقاً بذلك؟».

ـ لست أدري.

والتقت عيناها بعينيه بتحدٍ. لِمَ يجعلها أمثال فين تشعر دائماً بأنها غبية وعاطفية حين يتعلق الأمر بالحيوانات؟ مع ذلك أكملت تقول: «لكن، على أحدهم أن يهتم لأمره».

وساد الصمت للحظات.. ثم قال موجهاً كلامه إلى فين: «حذار، قد تبدو كايت رقيقة ولطيفة، لكن، لا يجرؤن أحد على إساءة معاملة أي حيوان أمامها وإلاّ سوف يجد نفسه في ورطة كبيرة فهي عندما تغضب تتحول إلى نمرة شرسة».

شعرت كايت أن خديها يشتعلان بالنيران حين رمقها فين بنظرة سريعة من عينيه الرماديتين الباردتين ليعود فيلتفت بعيداً ويقول: «سوف أتذكر ذلك».

في تلك اللحظات أشارت إليهم فوبي بالتوجه إلى غرفة الطعام وهي تقول: «ما تحتاجه كايت هو منزل في الريف حيث يمكنها أن تربي الدجاج والكلاب وتأوي المتشردين الذين يمرون في الأنحاء من البشر والحيوانات على السواء».

قالت كايت معترضة: «كلا، ليس هذا ما أريده».

منزل كبير في الريف يبدو فكرة هائلة، لكن ذلك يجعلها تبدو متلهفة إلى الزواج، وهي لا تريد لفين أن يفكر أنها تتوق يائسة إلى إيجاد زوج.

قالت بنبرة متغطرسة: «أنا فتاة مدينية حقاً، ولا أظنني قادرة حتى على صنع المربيات. كنت أفكر بالتوجه إلى مجال العلاقات العامة...»

توقفت عن الكلام عندما انفجر جيب، جوش، وفوبي بالضحك، حتى إن فين أبدى ابتسامة ساخرة، ما جعلها تشعر بالإهانة فسألت: «ما هو المضحك في الأمر؟».

ـ عزيزتي كايت، أنت لست من الصلابة بحيث يمكنك العمل في هذا المجال، فأنت تأخذين دوماً جانب الضعفاء والمساكين وهذا لن يعجب زبائنك على الإطلاق.

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ أثناء تناول العشاء، عندما استلمت فوبي زمام الحديث فسألت فين عن ابنته بطريقة تخلو من اللباقة: «ما اسمها؟».

بدا فين غير راغب بالإجابة لكنه قال: «ألكس».

كايت لا تلومه إذ يمكنه أن يفهم بوضوح مغزى هذا السؤال كما فهمته هي تماماً، فهو يعني أنه بحاجة إلى الزواج ثانية ليؤمن لابنته أماً بديلة.

أضاف فين: «عمرها تسع سنوات».

قالت فوبي: «لا بد أنك واجهت صعوبة في تربيتها لوحدك».

هز فين كتفيه: «كانت ألكس في الثانية من عمرها فقط حين توفيت إيزابيل. وهكذا، اضطررت إلى الاستعانة بعدة مربيات، إلاّ أنها لم تتقبل أياً منهن. وبعد ذهابها إلى المدرسة استعنت بمدبرة منزل تأتي إلينا كل يوم، فهي تحضر ألكس من المدرسة وتطهو لنا طعام العشاء، كما تبقى معها أحياناً عندما أتأخر في العودة من العمل».

بدا صوته خالياً من الانفعال، وكأن ابنته الصغيرة هي مسألة عملية أخرى عليه أن يجد لها حلاً. شعرت كايت بالأسى من أجل ألكس، الفتاة المسكينة التي فقدت أمها. فهي قد نشأت مع أربعة أخوة ما جعلها تشعر أن ألكس تعيش وحيدة مستوحشة. إن العيش مع مدبرة منزل ووالد مثل فين ليس أمراً ممتعاً البتة، لا سيما إذا كان فين يبدو مضجراً كما هو الليلة.

من المؤكد أن تجاهل فين الذي يجلس إلى جانبها بهيئته الصارمة، وإعطاء إنطباع بأنها لا تهتم به البتة هما أمران في غاية الدقة. فقد بدا واضحاً أنه يرى كل ما تقوله كايت سخيفاً، ما جعلها تشعر بالتوتر ودفعها توترها إلى الثرثرة أكثر فأكثر، وهكذا راحت تدور في حلقة مفرغة. ومع تقدم السهرة وجدت أنها أكثرت من الكلام بصوت مرتفع إلى حد مزعج. خاصة عندما راح فين ينظر إلى ساعته وكأنه لم يعد يحتمل البقاء هناك مطلقاً. وبعد قليل دفع كرسيه إلى الوراء تفادياً لأي اعتراض وقال: «عليّ أن أذهب».

فقال جيب لكايت مبتسماً: «أظن أنه يجدر بك أن تغادري أنت أيضاً وإلاّ فلن تتمكني من الذهاب إلى العمل غداً».

أغمضت عينيها قليلاً ثم تأوهت محتجة: «لا تذكرني بالعمل الآن!».

لكن جيب سأل فين: «هل بإمكانك أن توصلها في طريقك؟ إذ من الأفضل ألاّ تذهب وحدها في مثل هذه الساعة».

احتجت كايت على الفور وهي ترفع رأسها بحدّة: «أستطيع تدبر أمري»

وافقتها فوبي بلطافة: «نعلم ذلك عزيزتي، لكن يمكن لفين أن يوصلك إلى المنزل في طريقه».

ـ لِمَ لا يوصلني جوش؟

قال جوش ببرودة: «لأنني لم آتِ بالسيارة هذه الليلة، كما أنني أسكن في الجهة الأخرى من المدينة».

لم يستطع فين أن يجد عذراً ليتملص من مرافقتها، ومع أن الأمر لم يسعده مطلقاً إلاّ أنه قال بتهذيب: «يسعدني أن أقلّك معي».

في الخارج، كان الطقس ممطراً والحرارة متدنية حتى كاد المطر يتحول إلى ثلج. وقف فين منتظراً باستسلام إلى أن لبست كايت معطفها. رافقتها فوبي إلى الخارج وراحت تزرر لها المعطف ثم عانقتها وتمنت لها ليلة سعيدة قبل أن تتركها في عهدة فين. شكرتها كايت على السهرة والعشاء واستدارت لتسير في الممر باتجاه السيارة، لكن الأرض كانت زلقة تحت كعبي حذائها المرتفعين فترنحت وكادت تسقط أرضاً لو لم يسارع فين إلى الإمساك بذراعها ليمنعها من السقوط. وقال بصوت حاد: «حاذري!».

ـ آسفة، لكن أرض الممر زلقة كالصابون.

قالت ذلك وقد أجفلتها قبضة يده الحديدية على ذراعها. حاولت أن تسحب ذراعها من بين أصابعه، لكن فين أصر على مساعدتها فتأبط ذراعها إلى أن وصلا إلى السيارة. أزعجها أن يعاملها كطفلة صغيرة، وما إن فتح لها باب السيارة حتى جلست في المقعد مقطبة الجبين. أغلق فين الباب بقوة تعبيراً عن سخطه.

كان المطر ينهمر بغزارة فيضرب بقوة على زجاج السيارة ما جعل المساحة حولهما تتقلص إلى حد بعيد. كان الضوء الأخضر الخفيف المنبعث من لوحة أجهزة القياس في السيارة ينعكس على وجه فين فيبرز عظام خديه وينير جوانب فمه القاسي. راحت كايت تراقبه من تحت رموشها وقد أرهبتها تلك البراعة والثقة بالنفس اللتان يتحلى بهما. وقد بدا

ذلك جلياً من طريقته الهادئة والحاسمة في قيادة السيارة. بدا لها ذلك الأمر سخيفاً فوبخت نفسها في سرّها، إنه فين نفسه، ذلك الرجل البغيض، والرئيس المزعج والضيف الثقيل، وإن بدا شهماً بصورة مؤقتة. إنها لا تطيقه أبداً، فلِمَ إذن أصبحت فجأة معجبة بوسامته.

ـ في أي اتجاه عليّ أن أذهب؟

أجفلها سؤاله المباغت الذي قطع الصمت بينهما.

ـ ماذا؟

ـ طلب مني جيب أن أوصلك إلى منزلك، وأفترض أنه يعرف عنوان سكنك أما أنا فلا.

تململت كايت في مقعدها وقد أرهبتها فكرة اهتمامها المفاجىء به ما منعها من الرد على سخريته بطريقتها المعهودة. راحت ترشده عبر الطرقات المعتمة فيما كانت مساحات الزجاج تتحرك بصورة رتيبة. كان الصمت يلفهما إلى حد لم تعد كايت تحتمله.

ـ لِمَ لم تخبر جيب وفوبي أنك تعرفني؟

رمقها فين بنظرة سريعة وقال باقتضاب: «ربما للسبب نفسه الذي فكرت أنت به، كي لا يصبح الموقف أكثر إرباكاً مما هو عليه»

بدت نبرته جافية إلى حد جعل كايت تعود إلى التزام الصمت من جديد، وشعرت بالارتياح ما إن وصلا إلى الشارع المؤدي إلى منزلها. ما إن ضغط على مكابح السيارة حتى راحت كايت تتحسس مقبض الباب، ثم غمغمت: «شكراً لك، أرجو ألا تكون قد ابتعدت كثيراً عن طريق منزلك».

فتحت باب السيارة وعلى الفور تساقطت على وجهها حبات المطر المتجمد، فارتدت إلى الداخل بحركة غريزية وهي تقول: «يا لها من ليلة فظيعة!».

أطلق فين شتيمة في سره ثم راح يبحث في المقعد الخلفي عن مظلة قائلاً: «انتظري»

www.elromancia.com

نزل من السيارة وفتح المظلة ليصل بسرعة إلى الباب الآخر: «سوف أوصلك إلى باب منزلك»

ـ سأكون بخير حقاً. لا داعي لأن...

ـ أسرعي بالخروج من السيارة، فكلما أسرعت كلما تمكنت من الوصول في وقت أبكر إلى منزلي.

قال فين ذلك من بين أسنانه، نزلت كايت من السيارة كارهة، والتجأت إلى حماية المظلة. ومع أن الهواء البارد راح يلسع مؤخرة عنقها فقد شعرت بالاطمئنان لوجودها بالقرب من فين، فهو طويل القامة، متين البنية. وأحست برغبة غريبة تدفعها لأن تغمره بذراعها وتستند إلى دفء جسده لتشعر بقوة جسمه وصلابته.

لحسن الحظ أن فين لا يستطيع قراءة أفكارها. وسمعته يقول: «هيا، لنتحرك قبل أن نتجمد من البرد، أين هو المنزل؟».

توجها معاً نحو الرصيف وكايت تترنح فوق كعبي حذائها المرتفعين في محاولة للحاق بخطواته الواسعة. سألها وهو يحمل المظلة فوق رأسيهما بنفاد صبر: «بحق السماء! لِمَ لم تنتعلي حذاء مريحاً أكثر من هذا في قدميكِ؟».

كانت أسنانها تصطك حتى إنها بالكاد تمكنت من الكلام: «لو علمت بأن رحلة العودة ستكون بهذه الصعوبة لفعلت».

لكنها كانت ممتنة، بطريقة ما، لهذا الطقس الرديء الذي يساعدها على تمويه ارتجاف رجليها وصوتها. ولو لم يكن الطقس كذلك لبدا ارتجافها واضحاً ولما عرفت ماذا ستفعل حينها. لا بد أن فين سينفجر غاضباً إذا ما رمت بنفسها عليه أو ربما... سيعانقها وهما سائران تحت المظلة.

ظلت مستغرقة في أفكارها حتى وصلا أمام باب منزلها. وكان فين ما يزال حاملاً المظلة فوق رأسيهما فيما راحت تبحث في حقيبتها عن المفتاح. كانت يداها ترتجفان وكذلك أسنانها فوجدت صعوبة في إدخال

المفتاح في القفل. لم يعد فين يطيق صبراً، فحاول أخذ المفتاح من يدها، لكن ما إن لامست أصابعه يدها حتى أجفلت وتراجعت إلى الوراء فسقط المفتاح من يدها في بقعة تجمعت فيها مياه الأمطار. انحنت لتلتقطه وهي تكاد تموت خجلاً، فيما فتح فين كفه لتضع فيه المفتاح الذي بات ملطخاً بالماء والقذارة.

فتح فين الباب ودفعه إلى الداخل دون أن ينطق بكلمة واحدة. فقالت كايت بارتباك: «شكراً لك، وشكراً لأنك أقليتني بسيارتك».

الجواب الطبيعي المتوقع من فين هو: من دواعي سروري، لكنه بدلاً من ذلك قال: «أراك غداً في المكتب».

حسناً، إذا أراد أن تكون الأمور هكذا، فهي لن تدعوه إلى الدخول!

شدت معطفها بيديها قائلة: «هل أنت واثق من أنك ما زلت تريدني في العمل؟».

رمقها بنظرة من نظراته التهكمية: «لهذا السبب بالذات أدفع لك أجراً».

ـ لكنني ظننت أنني «كارثة» بالنسبة إليك.

وافقها فين: «مع أنك لا تحققين نجاحاً باهراً كسكرتيرة، لكنك الأفضل في الوقت الحالي. وكما تعلمين سوف نوقع اتفاقية هامة في اليومين القادمين، ولا يمكنني إضاعة الوقت بشرح الأمور لسكرتيرة أخرى. لذا نحن عالقان معاً»

ـ حسناً، شكراً لك على هذه الثقة.

ـ أنت لم تترددي في التعبير عن مدى استيائك للعمل معي، لذا لا أرى داعياً لمراعاة مشاعرك. من جهة أخرى، أنت لا تريدين خسارة وظيفتك في الوقت الحالي وأنا لا يمكنني إضاعة الوقت لإحضار سكرتيرة أخرى».

رفعت كايت ذقنها وقالت: «هل تقصد حقاً أننا عالقان معاً؟».

ـ بالضبط، لذا علينا أن نبذل جهدنا لجعل الأمور على أفضل حال.

ثم نظر إلى وجهها من تحت المظلة مقترحاً: «أنصحك بأن تشربي

www.elromancia.com

شراباً ساخناً قبل الخلود إلى النوم. لدينا الكثير من العمل غداً، لذا أرجو ألا تتأخري».

تلمست كايت المنبه وهي ما تزال مغمضة العينين. أجبرت نفسها على فتح إحدى عينيها لتنظر إلى الساعة، وما لبثت أن انتفضت مطلقة صرخة مصحوبة بأنين. حركتها السريعة تلك جعلتها تشعر بألم في رأسها وكأن فأساً سقطت عليه، فرفعت يداً مرتجفة لتمسك به وكأنها تريد التأكد أنه لا يزال في مكانه. ما الذي سيقوله فين إذا تأخرت عن العمل اليوم أيضاً!!

وصلت إلى المكتب قبل أقل من دقيقة على موعد بدء دوامها، كان فين قد وصل قبلها بالطبع. نظر إليها من فوق نظارتيه وهي تدخل مستندة إلى الباب وقال: «تبدين في حالة مريعة».

قالت بصوت خفيض أجش: «أشعر بالسوء، لا بد أن السهر والطقس البارد قد أثرّا علي بشكل سلبي».

غمغم فين: «آمل أنك لا تتوقعين مني أي تعاطف».

وقبل أن تتذكر أن وظيفتها غدت على المحك قالت بنبرة لاذعة: «كلا. لا أتوقع حصول أي معجزة اليوم».

حذرها قائلاً: «من الأفضل أن تكوني في حالة جيدة إذ لدينا الكثير من العمل اليوم».

أمسكت كايت رأسها بيدها ووعدته: «سأكون بخير بعد تناول فنجان من القهوة».

التقط فين أحد التقارير ليقرأه مرة أخرى وقال كأنه يصرفها: «لديك خمس دقائق فقط».

توجهت كايت إلى آلة صنع القهوة لتملأ كوباً مزدوجاً، محاولة تجاهل أصوات رنين الهاتف وطقطقة آلات الطباعة الالكترونية. يكفيها ما تشعر به من تشويش داخل رأسها.

لم تزدها القهوة إلا سوءاً. تأوهت كايت وألقت برأسها فوق طاولة

المكتب وغمرته بذراعها. ها هي تستسلم...

جاء صوت فين من فوق رأسها الملقى بإنهاك على المكتب: «ألم تشربي مشروباً ساخناً قبل الخلود إلى النوم؟».

غمغمت: «كلا».

كان ذلك أسهل من محاولة هز رأسها. وسمعت حركة بالقرب من أذنها وكأن كوباً قد وضع على طاولة المكتب.

ـ هاك، أحضرت لك كوباً من الشاي مع حبتي أسبرين.

ذكر الأسبرين كان كافياً لجعل كايت ترفع رأسها بحذر، فتمتمت: «شكراً».

ابتلعت حبتي الأسبرين ورشفت رشفة من كوب الشاي. بعد دقائق بدأت تشعر بالتحسن. كان فين يقف مستنداً إلى حافة مكتبها وهو ينظر مقطباً إلى ملف يحمله في يده. وفكرت كايت وهي ما تزال مشوشة الذهن أنه يبدو دوماً مقطباً، هل هو كذلك مع الجميع أم معها فقط؟ أخيراً، أذعنت للواقع، فوصولها متأخرة إلى العمل وتذمرها ليسا على الأرجح الطريقة الفضلى لجعله يبتسم.

٣ ـ قلب من ذهب

لاحظ فين أنها تحدق به، فرفع بصره نحوها قائلاً دون أن تكشف نبرته عن أي تعاطف: «هل تشعرين بتحسن؟».

أجابت بصوت خفيض أجش: «قليلاً».

ـ جيد.

أقفل الملف الذي يحمله ووضعه فوق مكتبها بقوة جعلتها تجفل، ثم تنهد: «لِمَ تخرجين مساء في هذا الطقس البارد وتسهرين إلى وقت متأخر طالما أنك تشعرين بهذا السوء في اليوم التالي؟».

قالت بتجهم: «أنا لا أفعل ذلك عادة، لكن بالأمس حاولت بذل أقصى جهدي لجعل السهرة ممتعة بعد أن اتضح لي أنك تتصرف بجمود تام. لِمَ ذهبت إلى هناك ما دمت لا تريد بذل أي جهد لتبادل الحديث مع الآخرين؟».

أجاب بفظاظة: «ذهبت لأن جيب طلب مني ذلك. قال إن لدى فوبي صديقة قد أرغب بلقائها. توقعت أن أرى امرأة مهذبة تنضح بالأمومة، لا امرأة ترتدي ثوباً مثيراً وحذاء ذا كعبين عاليين وهي فوق ذلك مستعدة للثرثرة والضحك باستهتار طيلة الأمسية».

ـ حسناً! لقد لاحظ إذن ثوبها المثير... شعرت بشيء من الرضى. فوافقته بنعومة تخفي تحتها نبرة لاذعة: «من الواضح أنهم لم يشكوا بالأمر. لقد قالوا لي إنك رجل حسن المعشر، لا بد أنهم لا يعرفونك جيداً. على أي حال، لن أدعهم يدبرون لي أي موعد بعد الآن».

توترت عضلة في فك فين: «لا أوافقك الرأي في ذلك».

غمغمت كايت: «حسناً، لا أظننا نتفق كثيراً».

وقف فين على قدميه وقال بصلابة: «طالما أنك أصبحت قادرة على الجدال فأنت قادرة على العمل. أظن أننا متفقان على أن الليلة الماضية كانت مربكة لكلينا. وكما قلت لك مساء أمس، ليس لدي الوقت لكي أشرح الأمور المتعلقة بالعمل لشخص جديد، لذا أقترح أن ننسى ما حدث الليلة الماضية ونتابع عملنا كالمعتاد».

ثم تابع بنبرة لاذعة: «سيكون أمراً جيداً أن تصلي إلى المكتب في الموعد المحدّد. فذلك سيشكل تقدماً ملحوظاً».

وضعت كايت يدها على رأسها المصاب الصداع ورفعته. بالأمس أخبرت الجميع بأنها تفكر في إجراء تغيير جذري في مهنتها وتبدو تلك الآن فكرة جيدة... حقاً!

لا بد أن تقوم بذلك يوماً ما، أما في الوقت الحاضر عليها أن تحصّل رزقها لتستمر بالعيش. وهذه الوظيفة الكريهة هي الآن أملها الوحيد لتتمكن من دفع فواتيرها للأسابيع القليلة المقبلة، وإذا به يقول وكأنما ليطمئن نفسه: «سوف تعود أليسون خلال بضعة أسابيع».

بالرغم من شعورها بالنفور منه، شعرت بالألم لإدراكها أن فين لا يطيق صبراً على التخلص منها: «تعني أنك لست مضطراً لأن تتحملني لوقت طويل؟».

قال ببرودة: «لدي انطباع بأن هذا الشعور متبادل بيننا».

ـ إنه كذلك.

ـ هل تحاولين القول إنك تريدين المغادرة في الحال؟

لقد حشرها في الزاوية، فقالت: «كلا. أود أن أبقى إذ ليس لدي خيار آخر».

وقبل أن يستدير نحو مكتبه قال فين: «إذاً نحن واقعان في الورطة

نفسها. وإذا أردت أن تستمري في العمل هنا أقترح أن تذهبي لتنعشي نفسك وتستعدي للبدء بالعمل».

بعد ثلاث ساعات، كانت كايت تشعر بالدوار بعد أن أصدر إليها فين سلسلة من التعليمات وأوكل إليها العديد من المهمات، دون أن يأخذ بالاعتبار ما تعاني منه من صداع وإرهاق. وقبل أن يخرج لتناول الغداء مع أحد الزبائن أطلق نحوها الطلقة الأخيرة: «أريد مسودة هذا التقرير على مكتبي حين أعود».

لوت كايت شفتيها بعد أن أدار ظهره، ورمت رزمة الملفات والأوراق التي تحملها على مكتبها؟

تخلّلت شعرها بأصابعها بسأم، إنها بحاجة إلى فنجان آخر من القهوة قبل أن تتمكن من إنجاز هذه المهمات كلها.

لاحظت كايت أن المكان المفضل للقاء الموظفين هو حول آلة صنع القهوة. توقفت المرأتان المتقدمتان في السن واللتان تعملان في قسم المحاسبة عن الحديث ما إن اقتربت كايت منهما، وتنحتا جانباً كي تتمكن من الوصول إلى آلة صنع القهوة. قالت كايت والابتسامة تعلو وجهها: «شكراً. أنا بحاجة ماسة إلى فنجان قهوة».

ـ هل تشعرين بالتعب؟

أقرّت وهي تحاول تذكر اسميهما: «بل أنا في حالة مريعة. لم أشعر بمثل هذا الألم والإرهاق في حياتي».

آه، إنهما ألين وسو. لطالما كانت المرأتان لطيفتين مع كايت خلال الفترة القصيرة التي أمضتها في الشركة. قالت سو، وهي الأكبر سناً: «وكيف تتدبرين أمورك في العمل؟».

تنهدت كايت فيما كانت تملأ فنجانها من آلة صنع القهوة: «لا أظنني سأتمكن من الوصول إلى مستوى أليسون في الأداء. كيف تبدو هذه المرأة؟ هل هي حقاً كاملة كما يقول فين؟».

فكّرت المرأتان ملياً، ثم قالت ألين: «لا شك أنها بارعة في عملها، فين يثق بقدرتها كثيراً».

رشفت رشفة من فنجانها وهي ما تزال تشعر بالسخط لكثرة الأعمال التي أوكلها إليها فين: «لا بد أن تكون ملاكاً كي تستطيع تحمله».

شعرت أنها أخطأت القول، إذ أجفلت المرأتان لهذا النقد الصريح لفين، وقالت ألين: «عندما تتعرفين إليه جداً ستجدينه لطيفاً».

أومأت سو موافقة: «إنه أفضل رب عمل عرفته. هنا لا نشهد تغييرات مستمرة بين الموظفين كما يحصل في الشركات الأخرى. ذلك أن الجميع يشعرون بالإنتماء والمشاركة. يتوقع فين منك أن تعملي بجهد، لكنه ينوه دائماً بما تقومين به، وهذا يشكل فرقاً كبيراً».

أضافت ألين معلّقة: «إنه يعامل الموظفين كمخلوقات بشرية لا كآلات».

كانت تلك المعلومات جديدة على كايت، وتذكرت ما حصل عند الصباح.

وقالت سو: «لا شك أن أليسون شديدة الإخلاص لفين».

ثم أخفضت صوتها لتسرّ لها: «لا أخفيك الأمر، أظنها تطمح لأن تصبح أكثر من مجرد مساعدة شخصية لفين».

شعرت كايت بتوتر في عضلاتها: «آه، وهل هذا محتمل»؟

هزت ألين رأسها مؤكدة: «كلا، إنه لم يتغلب بعد على حزنه بسبب موت زوجته، ولا أظنه سيفعل».

وافقتها سو: «كانت إيزابيل رائعة. كانت تأتي أحياناً إلى المكتب، وقد أحببناها جميعنا. كانت جميلة، لطيفة، وشديدة الاهتمام بالآخرين. وكانت تتمتع بميزة خاصة، فهي تجعلك تشعرين بأنك شخص مميّز بالنسبة إليها. أليس كذلك ألين؟».

أومأت ألين بأسى: «كان فين مختلفاً حينها، فقد كان يعشقها كثيراً وهي تبادله الحب. وقد شكّلت وفاتها مأساة كبيرة»

أملت كايت ألا تبدو شديدة الفضول حين سألت: «ما الذي حدث لها».

هزت المرأتان رأسيهما لتلك الذكرى المؤلمة.

ـ اصطدمت سيارتها بسيارة سائق سكران ما أدى إلى وقوعها في غيبوبة. واضطر فين إلى اتخاذ القرار بإقفال جهاز التنفس بعد حين.

تنهّدت سو: «تخيّلي كم كانت الأمور صعبة عليه. كان قلقاً على ألكس، فقد أدخلت هي أيضاً إلى المستشفى إذ كانت في السيارة أثناء وقوع الحادث، لكن إصابتها كانت طفيفة».

أضافت أليز: «لم تكن يومها سوى طفلة صغيرة، لكنها ما انفكت تصرخ مطالبة بأمها».

كانت كايت قد وضعت يدها على فمها وهي تستمع إلى القصة فقالت: «إنه... أمر فظيع!».

وافقتها أليز: «نعم. بعد تلك الحادثة لم يعد فين إلى طبيعته أبداً، فانطوى على نفسه بعد موت إيزابيل. والآن، ألكس هي كل حياته، وهو لا يسمح لأحد بالتقرب منه. ومع أنه ما زال يدير الشركة بشكل جيد، لكنني أشعر أحياناً أنه يقوم بذلك من أجل الموظفين الذين يعملون فيها لا من أجله هو».

ثم قالت سو: «نأمل جميعنا بأن يتزوج ثانية، فهو يستحق السعادة، كما أن ابنته بحاجة إلى أم ترعاها. عساه يفتقد أليسون بعد ابتعادها عن الشركة فيفكر بالزواج بها. مع أنها تبدو باردة إلى حد ما، لكنها جذابة، أليست كذلك؟».

وجهت السؤال الأخير إلى أليز، فأومأت هذه الأخير على كره منها: «إنها تحاول دوماً أن تبدو كذلك. أظنها ستكون زوجة مناسبة له».

ذلك المساء، جلست تتحدث إلى بيلا فأخبرتها عن قصة فين المأساوية، كما أخبرتها عن ذلك الموعد الذي جمعهما عند جيب وفوبي،

وعن تصرفاتها القاسية تجاهه.

ـ أشعر بأنني كنت سيئة جداً معه. لقد تعامل بصبر مع حماقاتي كلها.

أحضرت لها بيلا كوباً من الشاي قائلة: «لا تفعلي بنفسك هذا».

ـ أفعل ماذا؟

ـ لا تتورطي معه.

قالت كايت بلهجة دفاعية: «لا أنوي التورط معه، أنا أشعر فقط بالأسى من أجله».

تنهّدت بيلا وهي تتأمل صديقتها، ثم قالت تحذرها: «أنا أعرفك جيداً كايت. ما إن تتأثر مشاعرك بعمق حتى تقلبي حياتك رأساً على عقب لكي تصلحي الأمور. لقد شعرت بالأسى على ساب أيضاً، وانظري إلى أين أوصلك ذلك».

احتجت كايت: «الأمر مختلف تماماً هذه المرة، فين لا يحاول الحصول على أي شيء مني. حتى إنه لم يخبرني عن إيزابيل بنفسه».

قالت بيلا وهي توجه إليها نظرة تحذير: «أنا لا أريدك أن تقفزي من الشعور بالأسف عليه إلى الرغبة في مساعدته ثم إلى الوقوع في حبه. قد يتسبب لك الكثير من الأذى، لأنك لن تتمكني مطلقاً من أخذ دور الزوجة الكاملة بالنسبة إليه، بل ستكونين دوماً البديل عن زوجته التي يحبها».

قالت كايت بنزق: «بالله عليك بيلا! من يتحدث عن الزواج به؟ كل ما قصدت أن أقوله هو أنني سأكون أكثر تفهماً وصبراً حين يكون نكداً في تصرفاته».

ـ هممم... حسناً، إذن كوني حذرة، فكري دائماً أنه كان سعيداً في زواجه وأنه لا يزال فين المريع، وهكذا لن تقعي في حبه. ترمله لا يبرر تصرفاته السيئة معك أليس كذلك؟ قلت إن ست سنوات مرت على وفاة زوجته، وهذه مدة كافية كي يعود إلى حالته الطبيعية. فلا تدعي قلبك الطيب يتأثر بحالته».

لم تعلّق كايت على كلام صديقتها، لكنها فكرت بما قالته. قد تبدو بيلا في بعض الأحيان نموذجاً للشقراء الفارغة الرأس، لكنها تملك آراء منطقية عندما يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية.

بالطبع، لن يجديها أن تؤكد أن وقوعها في حب فين هو أمر غير محتمل، إذ لا نية لديها بذلك البتة. كل ما ستفعله من الآن فصاعداً هو إظهار التسامح عندما يثور في وجهها. سوف تتحلى ببرودة الأعصاب والدماثة كما ستكون جدية ومثابرة في عملها، وذلك لا يعني أبداً أنها سوف تقع في حبه!

بدا لها الأمر سهلاً من الناحية النظرية، أما تطبيقه عملياً فكان أقل سهولة. أرهقتها ملاحظاته الدائمة حول كياسة أليسون، ومع ذلك بذلت أقصى جهدها لتبدو بصورة أفضل فارتدت ثياباً رسمية وحاولت رفع شعرها ليعطيها مظهراً عملياً، إلا أن خصلاته ظلّت تتمرد فتفلت من رباطها لتحيط بوجهها من جديد. وعندما كان فين يثور في وجهها كانت تعض على لسانها فلا تجيبه بكلمة واحدة... وهكذا لم تعد تهتم سوى بعملها منتظرة منه أن يبدي امتناناً في أحد الأيام. وحضّرت في ذهنها الكلمات التي ستجيبه بها عندما يبدي لها امتنانه... لكن ذلك كله بدا مضيعة للوقت، فقد بدا الارتياب على فين إثر رؤيته لمظهرها الجديد وتحسن موقفها فسألها: «ما خطبك؟».

أجفلت كايت قليلاً وأجابت: «لا شيء».

غمغم قائلاً: «تتصرفين بتهذيب بالغ، وهذا يثير أعصابي. ثم... لِمَ ترتدين هذه الملابس؟».

وغدت تعابيره أكثر حدة حين قال: «هل لديك مقابلة من أجل وظيفة أخرى»؟

ـ كلا. أنا فقط أحاول أن أبدو بمظهر رسمي أكثر. ظننت أنك ستقدر ذلك.

نظر فين إليها متأملاً محاولتها لرفع شعرها إلى الخلف التي باءت بالفشل بشكل بائس، أما بذلتها الوحيدة الرمادية اللون فقد بدت مجعدة، حتى إن أحداً لن يصدق أن هذه الثياب البائسة وذلك الفستان المثير الذي ارتدته على العشاء عند فوبي وجيب يخصان المرأة نفسها.

قال بجفاء: «لا أظن أنك ناجحة في إظهار نفسك بمظهر رسمي».

بعد ما لقيته من عدم التفهم وعدم التشجيع من جانب فين، وجدت نفسها تعود إلى طريقتها القديمة، لا سيما بعد حديث دار بينها وبين فوبي ذات مساء. وشعرت بالانزعاج عندما اكتشفت أن فين أخبر جيب في اليوم التالي أنهما كانا على معرفة ببعضهما البعض، وذلك عندما اتصل به ليشكره على دعوته.

ما إن انتهت فوبي من إخبارها كم شعرت هي وجيب بالتسلية بعد معرفتها بذلك، سألتها كايت: «ما الذي قاله عني؟».

تجنبت فوبي إعطاءها جواباً مباشراً بل قالت: «أظن أنه فوجيء قليلاً لرؤيتك بتلك الثياب، يبدو أنك لا ترتدين ثياباً مماثلة حين تكونين في المكتب».

شعرت بالغضب دون سبب واضح وقالت: «بالطبع لا. هل كان يتوقع أن آتي إلى العشاء مرتدية بذلة العمل؟».

في ما بعد قالت كايت وهي توجز تلك المحادثة لبيلا: «أظن أن فين أخبر جيب أنني لست من النوع الذي يعجبه».

ثم غمغمت قائلة: «لن أزعج نفسي بعد اليوم بأن أكون لطيفة معه».

ومع ذلك لم تجد سبباً يمنعها من الحفاظ على صورتها الجديدة في المكتب. صمّمت كايت أن تثبت لفين أن أليسون ليست الوحيدة التي تتمتع بالبراعة كمساعدة شخصية. حاولت أن تصل إلى مكتبها في الصباح قبل وصوله فتبدأ عملها بهدوء تام، ما يعني نهوضها من الفراش عندما ينبلج الفجر. لكن الأمر يستحق العناء فقد كانت ترى نظرة الارتباك في عينيه

عندما يدخل إلى المكتب صباحاً فيجد أنها قد سبقته إليه.

مرّ أسبوع وهي ماضية في برنامجها الجديد من ناحية الالتزام بالدقة في المواعيد. وفي أحد الأيام الممطرة، وفيما كانت كايت صباحاً في طريقها إلى العمل، وقد رفعت ياقة معطفها اتقاء للبرد، توقفت قليلاً لتفتح مظلتها. كانت الأرض زلقة تحت قدميها والهواء يشعث شعرها في كل الاتجاهات. نظرت إلى ساعتها، ها قد حان موعد تناولها كوب الكابوتشينو في ذلك المقهى الإيطالي. وبادرها النادل بالتحية وهو يناولها كوبها الساخن، فأمسكته بيديها الاثنتين وقربته من جسمها علّه يبعث فيها بعض الدفء. ما إن أصبحت في الخارج، حتى كان المطر قد أصبح أكثر غزارة، والهواء أكثر شدّة، فاضطرت إلى وضع المظلة أمام وجهها تقريباً لمنعها من الانقلاب في الإتجاه المعاكس، ما جعل رؤية الطريق أمامها أكثر صعوبة. راحت تجاهد في سيرها وهي تقول لنفسها: لم يبق من الطريق سوى القليل.

وفي اللحظة التالية، لم تشعر إلا بجسمها وقد هوى أرضاً بالقرب من صندوق فيه كومة من أكياس النفايات.

جاهدت لتقف على قدميها ثم نظرت إلى نفسها وراحت تنفض ما علق على ثيابها من أوساخ وهي تشعر بالرعب، فالكابوتشينو قد انسكب على تنورتها تاركاً إياها في حالة مزرية، واتسخت يداها، أما شعرها... حسناً، من الأفضل أن تنسى أمر ترتيبه الآن. انحنت لتلتقط مظلتها وهي تتساءل عما سبب سقوطها بهذا الشكل. لاحظت أن بعضاً من أكياس النفايات ممزق وقد تناثرت منه النفايات لتتناثر على بلاط الرصيف. وفي وسط الأكياس الممزقة تكوّم كلب هزيل الجسم، راح ينظر إليها بعينين خائفتين.

نسيت كايت الرضوض التي أصابتها على الفور. وانحنت فوق الصندوق وهي تمدّ يدها نحو الكلب الصغير قائلة: «أيها الصغير

المسكين، هل أخفتك؟».

بدا الكلب مبلّلاً وهو يرتجف من البرد، ولم يكن هناك طوق حول عنقه.

لا جدوى من البحث عن صاحب هذا الكلب، إذ لا يعقل أن يخرج أي شخص إلى النزهة برفقة كلبه في مثل هذا الطقس الرديء.

لا يمكنها أن تتركه هناك وحيداً يكافح من أجل الحياة، جرته نحوها بلطف فأطلق أنيناً خافتاً، لكنه لم يقاوم حين حملته بين يديها. تفحصته عن كثب فوجدت أن جروحه طفيفة، فقالت: «أظن أنك تعاني فقط من البرد والجوع».

توجهت نحو متجر قريب وهي تحمل مظلتها في يد والكلب في اليد الأخرى، لتخرج منه بعد قليل حاملة بعض الخبز والحليب وصحيفتين قديمتين من باب الاحتياط. سوف تهتم بأمر الطوق والمقود في ما بعد، كانت ثيابها قد أصبحت متسخة وممرغة بالوحل كالكلب الصغير تماماً، أما الساعة فقاربت التاسعة والنصف، وهذا بالطبع ليس وقتاً مبكراً في الوصول إلى المكتب.

كان باب مكتبها مفتوحاً. أخذت كايت نفساً عميقاً ودخلت، وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان حين رأت أن هناك من يجلس مكانها خلف جهاز الكومبيوتر. للحظة فكرت أنه تم استبدالها. لكن في اللحظة التالية أدركت أن الفتاة التي تجلس مكانها لا زالت صغيرة على الوظيفة.

توقفت الفتاة الصغيرة عن الطباعة حين تقدمت كايت منها، ونظرت إليها نظرة لا يمكن وصفها بالودودة. كانت الفتاة تضع نظارات سميكة وهي ذات وجه نحيل متسم بالحذر، يوحي في الوقت نفسه بالاعتداد بالنفس.

ـ من أنت؟

عرفت كايت الفتاة على الفور لشدة الشبه بينها وبين والدها، لكنها

قالت: «أنا كايت، ومن أنت؟».

ـ ألكس.

ثم تابعت: «أبي غاضب منك».

وضعت كايت الكلب على الأرض ومسّدت ظهره برفق وهي تقول: «يا إلهي! كنت أتوقع ذلك».

خلعت عنها سترتها وعلقتها وتساءلت ما الذي عليها أن تفعله الآن. يجدر بها أن تجد فين وتشرح له الموقف، لكن الكلب الصغير ما زال يرتجف من الخوف والبرد معاً، ولا يمكنها أن تتركه هكذا. راحت ألكس تنظر إليها مستغربة: «لِمَ أنت متسخة هكذا؟».

ـ وقعت فوق كومة من النفايات.

غضّنت ألكس أنفها: «أوه... لك رائحة كريهة».

رفعت كايت ذراعها واشتمت رائحة النفايات والمياه المبتذلة. رائع! هذا ما كان ينقصها!

استدارت ألكس حول طاولة المكتب وراحت تنظر بحذر إلى الكلب الذي ما زال يرتعش: «هل هذا الكلب لك؟».

ـ أصبح كذلك الآن.

ـ ما اسمه؟

ـ لا أعرف... ماذا أسميه برأيك؟

ـ ما رأيك بأن تسميه ديريك؟

ـ ديريك؟

واغرقت في الضحك فشعرت ألكس بالإهانة: «ألم يعجبك الإسم؟».

تمالكت كايت نفسها بسرعة قائلة: «بل هو اسم رائع، الكلب ديريك، لقد أحببته».

وطقطقت بأصبعيها لتلفت انتباه الكلب ونادته: «ديريك!».

رفع الكلب أذنيه وجلس على الأرض بطريقة خرقاء، ما جعل ألكس

تبتسم للمرة الأولى. فأضاءت الإبتسامة وجهها الذي يتسم بالجدية. وتساءلت كايت إن كان وجه فين سيبدو كذلك إذا ما ابتسم... وفكرت أن من غير المحتمل أن ترى ابتسامته لا سيما في هذه اللحظة. جلست ألكس القرفصاء إلى جانبها وقالت: «مرحباً ديريك».

ـ دعيه يشم أصابعك قبل أن تربتي على ظهره.

وابتسمت حين راح ديريك يهز ذيله ويلعق أصابع ألكس.

ـ إنه فاتن!

ـ لا أظن أن والدك يوافقك الرأي.

ما كادت الكلمات تخرج من فمها حتى دخل فين إلى الغرفة بخطواته الواسعة، وهو يعبس بشكل مخيف. وما إن رأى كايت حتى بادرها: «آه، أنت هنا! أخيراً فكرت بالإنضمام إلينا!».

انتصب كايت واقفة، مدركة تماماً لحالتها المزرية وبدأت تقول: «آسفة، لقد تأخرت...»

ما إن ألقى فين نظرة فاحصة على هيئتها حتى قاطعها قائلاً: «بحق الله، كايت. انظري في أي حالة أنت! ما الذي فعلته».

ـ أرجوك، لا تصرخ بصوت مرتفع.

لكن توسلها جاء متأخراً، فما إن سمع الكلب الصغير صوت فين المرتفع حتى انكمش على نفسه وأفرغ قذارته على السجادة التي تغطي الأرض. وسرعان ما قالت كايت موجهة اللوم إلى فين: «والآن، أنظر ما الذي فعلته!».

وسحبت ورقتين من إحدى الصحف القديمة كي ترفع بهما القذارة عن السجادة، وهي تقول لتطمئن الكلب الذي ما زال يرتجف: «لا بأس عليك يا عزيزي. لن أسمح للرجل الشرير بأن يصرخ عليك ثانية».

رمقت فين بنظرة حادة وهي تجثم بالقرب من الكلب الصغير: «لقد أزعجت ديريك».

www.elromancia.com

هز فين رأسه بحيرة وإحباط: «أزعجت... من؟».

قالت له ألكس: «اسمه ديريك يا أبي».

ـ ديريك؟

وقبل أن يتلفظ بكلمات تضايق ابنته، أسرعت كايت توضح له: «ألكس اختارت له هذا الاسم. إنه يناسبه، ألا تظن ذلك؟».

تجاهل فين قولها، وبدا وكأنه يعد إلى العشرة كي لا ينفجر غاضباً، وأخيراً قال بصوت متصلب وبتأنٍ: «كايت، ما الذي يفعله هذا الكلب هنا؟».

ـ وجدته وأنا في طريقي إلى العمل.

ـ حسناً، عليك أن تعيديه إلى حيث كان بسرعة، فالمكتب ليس مكاناً ملائماً للكلاب.

ـ وهو ليس مكاناً ملائماً للأولاد أيضاً.

تصلب فكه وقال بنزق: «ذلك أمر مختلف تماماً. لقد استدعيت مدبرة منزلي على عجل كي تعتني بأمها المريضة، والمدرسة في عطلة اليوم، فلم يكن أمامي حل سوى اصطحاب ألكس معي إلى المكتب. إذ لا يعقل أن أتركها في المنزل وحدها».

ـ وأنا لم أستطع أن أترك ديريك وحده في الشارع، وقد تخلى عنه صاحبه.

صرّ فين على أسنانه محبطاً: «كايت هذا مكتب وليس مأوى للكلاب الشاردة! ظننت أنك تحاولين أن تظهري احتراماً أكبر في مهنتك».

ـ هناك أمور أكثر أهمية من الاحتراف في العمل.

وانحنت لتلتقط الكلب عن الأرض. لكن فين انفجر في وجهها ساخطاً: «إلى أين أنت ذاهبة؟ لم أنهِ كلامي معك بعد!».

أجابته بنبرة ملؤها الصبر: «أنا ذاهبة لأجففه من البلل وأقدم له ماءً وطعاماً، وبعد أن أفعل ذلك سوف أعود ويمكنك عندئذٍ أن تجادلني قدر ما

تشاء».

بينما راح والدها يزمجر غاضباً سألت ألكس: «أيمكنني أن أساعدك؟».

ـ بالتأكيد، يمكنك أن تحملي ديريك فيما أقوم بتجفيف صوفه.

بدأ فين يقول غير مصدّق أنه فقد السيطرة على الموقف بهذه السهولة: «مهلاً لحظة...»

قلبت ألكس عينيها بطريقة بريئة لكن مؤثرة وقالت بسأم: «بابا، سوف أكون بخير».

وأسرعت كايت إلى خارج الغرفة قبل أن يتمكن فين من استخدام سلطته ليمنعها.

في حمام السيدات، وجدتا محارم ورقية وقامتا بتنظيف ديريك من الأوساخ العالقة في صوفه ثم جففتاه بقدر ما أمكنهما. كما نظفت كايت ثيابها مما علق بها من قذارة مع أنها ظلت تبدو في حالة سيئة.

في هذا الوقت راحت ألكس تدغدغ الكلب الصغير متمتمة بكلمات مطمئنة ثم قالت: «أنت لا تشبهين أليسون»

تنهّدت كايت قائلة: «هذا ما يقوله لي والدك دوماً».

ـ أنا لا أحب أليسون، فهي تكلمني كأنني طفلة صغيرة، كما أنها متلهفة على أبي.

لم تستطع كايت منع نفسها من السؤال مع علمها أنه لا يجدر بها ذلك: «وهل هو متلهف عليها أيضاً؟»

هزّت ألكس كتفيها: «لا أدري، لكنني آمل ألا يكون كذلك. أنا لا أريد أماً بديلة. روزا تبالغ كثيراً في اهتمامها بي، لكنني أفضل أن تكون هي مدبرة منزلنا لا أليسون».

فكرت كايت: يا لأليسون المسكينة! وبدا لها أن ألكس ورثت عنادها من والدها وظهر ذلك جلياً في ذقنها المرتفع. بإمكانها أن تراهن أن لا أمل

www.elromancia.com

لأليسون بأن تقهر عناد هذه الصغيرة. شعرت بالمرح لسبب تجهله. بعد عودتهما إلى مكتبها، أرسلت ألكس لتبحث عن وعائين فارغين وقامت بصنع فراش لديريك خلف مكتبها من الصحف القديمة التي أحضرتها. بدا الجرو سعيداً بالتكوّر هناك، وعندما ظهرت ألكس وهي تحمل في يديها صحناً فيه ماء وآخر فارغاً، نهض من مكانه مستكشفاً، ثم راح يلوح بذيله جذلاً عندما قدم إليه الخبز المبلل بالحليب.

راحت ألكس تراقبه بإعجاب قائلة: «يا له من كلب رائع. ليتني أستطيع الاحتفاظ به! هل تظنين أن أبي يسمح لي بذلك؟».

عرفت كايت أن جواب فين سيكون لا، فقالت بنبرة لا تخلو من التحذير: «يمكنك أن تسأليه. لكن، لو كنت مكانك لانتظرت إلى أن يصبح في مزاج أفضل».

بدت تلك النصيحة في مكانها تماما حين ظهر فين من باب مكتبه وهو يحدق فيهما بذهول: «ألكس، يمكنك الذهاب لقضاء بعض الوقت عند الفتيات في مكتب الاستقبال إذا أردت، فأنت تحبين القيام بذلك أحياناً».

غمغمت ألكس: «ذلك فقط عندما تكون أليسون هنا. على أي حال، أودّ أن أعتني بديريك، كايت قالت إن بإمكاني أن أفعل ذلك».

قال فين بنبرة تنذر بالسوء: «حسناً، أنا أود التكلم مع كايت».

ثم أمر كايت قائلاً: «تعالي إلى مكتبي إذا كنت قد انتهيت من تحويل هذا المكتب إلى فرع من مؤسسة «نجدة الحيوانات»».

أضاف جملته الأخيرة بتهكم، قبل أن يتراجع بلباقة ملؤها السخرية كي تتمكن كايت من الدخول قبله. وما إن جلس خلف مكتبه حتى قال بغضب: «هل يمكنك أن تشرحي لي ما هذا الجحيم الذي أراه هنا؟».

قالت وصوتها يرتعش تأثراً: «لم يحصل أي سوء. لم أقصد أن أتأخر عن العمل، لكنني لم أستطع ترك هذا الكلب في الشارع. ها أنت قد رأيت حالته، يبدو أن أحدهم ضجر منه ورماه إلى الشارع. لا أدري كيف يمكن

أن يكون الناس قساة القلوب بهذا الشكل».

فقاطعها فين بفظاظة: «كايت، هذا الأمر لا يعنيني، فلدي عمل أديره هنا. يكفيني وجود ألكس في المكتب وها قد أضعنا معظم الصباح على هذا الكلب».

قالت كايت غير نادمة: «ألكس سعيدة بالاعتناء به، وهكذا يمكنني أن أقول إن مشكلتك قد حلّت. في الواقع، أرى أن كل شيء على ما يرام».

ثم لوحت بدفتر الملاحظات وابتسمت له ابتسامة مشرقة: «أنا جاهزة للبدء بالعمل ما إن تصبح أنت جاهزاً».

www.elromancia.com

٤ ـ أنا وابنتي والكلب

ـ أبي؟

انتظرت ألكس إلى أن انتهى فين من إملاء تعليماته وأوامره على كايت فيما راحت هذه الأخيرة تسجلها على عجل في دفتر ملاحظاتها.

أجال فين بصره حول المكتب إلى حيث تجلس ابنته في الزاوية وقد ألقى ديريك برأسه فوق حضنها، ثم قال: «هل أنت بخير؟».

أومأت بحماسة: «لقد وعدتني بأن تشتري لي ما أريد على الغداء إذا ما تصرفت بصورة جيدة هذا الصباح».

ظهر بعض القلق في صوته وهو يجيبها: «نعم».

ـ أنا لا أريد تناول أي طعام. هل يمكننا، عوضاً عن ذلك، أن نذهب إلى متجر خاص بالحيوانات كي نشتري مقوداً لديريك؟.

ـ ألكس، لا أريدك أن تتعلقي كثيراً بهذا الكلب!

ردّت ألكس بحماسة: «كلا، لن أفعل. لكن أرجوك أبي، لقد وعدتني»

حدّق فين إلى كايت كأنه يقول لها إن تلك هي غلطتها: «كنت أفكر بالذهاب لتناول البيتزا. ربما يمكننا أن ندع كايت تتحمل مسؤولية الكلب، فهي التي أنقذته»

قبل أن تتمكن كايت من التفوه بكلمة قالت ألكس: «كايت ليس لديها وقت للخروج وتناول الغداء».

نظرت كايت إلى اللائحة التي تحملها بين يديها وفكرت أن ذلك صحيح! لكنها قالت: «أنا واثقة أن بإمكاني تدبر الأمر. قد أجد حيلاً في

مكان ما هنا».

تعمدت أن تقول ذلك مدركة أن قولها هذا سوف يزعج فين، ثم أردفت: «اذهبا وتناولا غداءكما، ولا تقلقا بشأني».

قطب فين جبينه: «آه، كم سيبدو ذلك رائعاً! مساعدتي الشخصية تخرج من المكتب وهي تجر كلباً مربوطاً بحبل».

قالت كايت ببراءة: «سأنتظر إلى أن يخرج الجميع»

وهنا تدخلت ألكس: «أرجوك أبي... قل إننا نستطيع الذهاب إلى متجر للحيوانات. لقد تصرفت بشكل جيد... أليس كذلك كايت؟ كما أنك قلت لي مرّة إن على المرء أن يحافظ على وعده».

كبحت كايت ابتسامتها وهي ترى فين يصر على أسنانه إحباطاً. من الواضح أن ألكس لا تحتاج إلى أي نصيحة بشأن تعاملها مع أبيها، إذ ظهر جلياً أنه استسلم: «نحن في وسط لندن، أين يمكننا أن نجد متجراً للحيوانات؟».

حاولت كايت تقديم المساعدة فقالت: «معظم المتاجر الكبرى لديها أقسام خاصة بالحيوانات»

لكن فين لم يبدُ ممتناً لمساعدتها.

ما إن خرجت ألكس برفقة والدها حتى زحف الكلب مقترباً من كايت، وهو يهز ذيله تملقاً. لم يكن كلباً جميلاً، لكن نظرة الامتنان التي ظهرت في عينيه البنيتين جعلت قلبها يذوب.

كانت الساعة قد قاربت الثانية والنصف عندما عاد فين وألكس، وهما يحملان سلة فيها ألعاب وأوانٍ للطعام والشراب وطعاماً للكلاب، بالإضافة إلى المقود والطوق.

بدا الإستسلام على تعابير وجه فين فيما راحت ألكس تستعرض بفخر الأغراض التي أقنعت والدها بشرائها. أخرجت الطوق وقالت بتباهٍ: «هذا هو الطوق»

www.elromancia.com

لم تستطع كايت منع نفسها من الضحك عندما رأته، فهو مصنوع من المخمل الأحمر المرصع بماسات مزيفة. لا بد أنه كلّف ثروة صغيرة.

ـ لا بد... أن والدك قد اختاره!

لم تفطن ألكس إلى التهكم في كلام كايت. لكن هذه الأخيرة لمحت التواء يظهر على زاوية فم فين، فشعرت بالانتصار وكأنها تسلقت قمة إفرست. حسناً، لم تكن تلك ابتسامة بكل ما للكلمة من معنى لكنها استجابة لطيفة. عادت بانتباهها إلى ألكس التي راحت تؤكد لها أن ما أحضرته هو بمثابة هدية قاتلة بفخر: «لقد دفعت ثمنها بنفسي».

قالت لها كايت: «إنه لطف كبير منك».

ونظرت بارتياب إلى كومة الطعام التي أحضرتها لديريك، وكأنما ألكس قرأت أفكارها فقالت: «أبي دفع بقية الحساب».

نظرت كايت إلى فين. لقد اختفت ومضة التسلية التي ظهرت على وجهه منذ قليل، وبدا متحفظاً وصارماً من جديد. فقالت: «سوف أحرّر لك شيكاً بالمبلغ».

ـ لا داعي لذلك، سوف أنسى الموضوع برمته في أقرب وقت ممكن.

ـ حسناً. شكراً لك على أي حال.

ثم انحنت لتحكم الطوق حول عنق ديريك، فراح هذا الأخير يهز جسمه مستغرباً الإحساس بجسم غير مألوف حول عنقه، فقالت له كايت: «أنظر كم أصبح منظرك جميلاً الآن!»

ثم ابتسمت قائلة لألكس: «إنه لطف منك أن تضحي بالغداء في سبيله»

فاعترفت ألكس: «لقد حصلت على البيتزا أيضاً»

ضحكت كايت مع أن معدتها كانت تقرقر بسبب الجوع: «لا شك أن والدك لن يدعك تشعرين بالجوع».

وإذا بألكس تأخذ كيساً من يد والدها لتعطيها إياه وهي تقول: «أنظري لقد أحضرنا لك سندويشاً أيضاً. قال أبي إنكّ تحتاجين إلى تناول الطعام».

نظرت كايت إلى داخل الكيس فوجدت سندويشاً محشواً مملوءاً بلحم الدجاج والأفوكادو... إنه طعامها المفضل! لكن... كيف عرف ذلك بحق الله؟

رفعت بصرها لتلتقي بنظرات فين، وبدا كأن تياراً كهربائياً قد سرى في الجو بينهما، فكادت أنفاسها تتوقف ثم قالت: «شكراً لك».

قال بصوت أجش: «لا أحتمل رؤيتك وقد أغمي عليك بسبب الجوع. لدينا الكثير من العمل لننجزه بعد الظهر».

ومع ذلك فقد فكر بها! سرت رعشة في جسد كايت ولزمها بعض الوقت لتمالك نفسها من جديد. وتردد في أذنيها صدى كلمات بيلا وهي تقول: «لا تفعلي ذلك كايت».

بللت شفتيها وحملت ملفاً فيه مجموعة من الرسائل قائلة: «جهزت هذه الرسائل التي طلبتها. وأنا الآن بصدد طبع المسودة النهائية للعرض».

ـ ماذا بالنسبة لترتيبات يوم الخميس؟

ـ لقد تم إنجازها أيضاً.

ـ قمت بالكثير من العمل!

على الرغم من كل شيء، غمرها شعور بالدفء لإطرائه. وحذرت نفسها: عزيزتي كايت، لا تنجرفي وراء مشاعرك الآن!

أمضت فترة ما بعد الظهر غارقة في عملها، وكلّف فين إحدى الفتيات من مكتب الاستقبال الذهاب مع ألكس عندما رغبت بمرافقة ديريك في نزهة. أما ألكس فقد أمضت بقية الوقت وهي تلعب مع ديريك وقد بدت عليها السعادة، وعند الساعة الخامسة شعر كلاهما بالوهن. وطرقت كايت على باب مكتب فين، وقالت: «أظن أن ألكس تحتاج لأن تذهب إلى المنزل».

وكانت قد استجمعت شجاعتها قبل ذلك ثم تابعت تقول: «سوف أبقى لأنهي ما تبقي من عمل إذا أردت الذهاب».

www.elromancia.com

عبس فين وهو ينظر إلى ساعته: «لم أنتبه إلى مرور الوقت. نعم، من الأفضل أن آخذها إلى المنزل».

ثم نظر إليها قائلاً: «هل أنت واثقة؟».

ـ نعم. على أي حال، أنا أدين لك بوقت إضافي بعد أن تأخرت هذا الصباح. هكذا أكون قد سددت ديني. أنا لا أمانع في البقاء، حقاً. فأنا لا أريد أن أخرج برفقة الكلب في ساعة الزحام. وعلى أي حال لم يبقَ هناك الكثير من العمل.

وقف فين على قدميه وارتدى سترته ثم قال بخشونة: «حسناً... شكراً».

لم يبدُ عليه الارتياح، وخمنت كايت أنه لا يحب أن يكون ممتناً لأي كان. فحاولت التقليل من أهمية الأمر: «لا داعي للشكر. وأنا آسفة لأنني تشاجرت معك».

راح فين ينقب في جيب سترته بحثاً عن المفاتيح. وقبل أن تستدير كايت نحو الباب سألها: «ماذا ستفعلين بشأن الكلب؟».

ـ والداي يسكنان في الريف وحولهما أراضٍ واسعة، وهما يحبان الحيوانات. وأنا واثقة أنهما لن يمانعا بأخذ ديريك، لكنهما مسافران الآن ولن يعودا قبل بضعة أسابيع. لذا سأحتفظ به عندي حتى ذلك الوقت.

وعضت شفتها ما إن أدركت ما الذي يعنيه ذلك: «ما يعني أنني سأتركه طيلة النهار، لكن يمكنني أن أصطحبه ليقوم بنزهته ما إن أعود إلى المنزل، إلا إذا... تمكنت من إحضاره معي إلى المكتب...».

ونظرت إلى فين نظرة ملؤها الأمل: «لن يثير أي مشاكل. ها أنت قد رأيت كم هو هادئ».

وفي اللحظة نفسها سمعا صوت نباح حماسي ترافقه ضحكة ألكس، فنظر فين إليها، فأضافت: «هذا أمر عادي».

تنهد فين: «أظن أن ألكس هي المشكلة الآن وليس الكلب، فهي لن

ترضى بأن تنفصل عنه».

وكان على حق. فقد أصرت ألكس على أصحاب ديريك معها إلى المنزل. فقالت محتجة: «لقد تعوّد عليّ. وسوف ينزعج إذا تركته الآن».

تدخلت كايت محاولة تلطيف الأجواء بين الطفلة ووالدها: «ألا تثقين بأنني سأقوم برعايته جيداً؟».

قلبت ألكس شفتها العليا بتمرد: «ليس الأمر هكذا. لكن إذا لم آخذه معي إلى المنزل فذلك يعني أنني لن أراه ثانية. وأنا أريد الاحتفاظ به».

ثم راحت تنتحب قائلة: «أرجوك أبي، أنت تعلم أنني أردت دائماً أن أقتني كلباً».

مرّر فين أصابعه في شعره وقد شعر بالإحباط: «ألكس، أنت تعلمين أن من المستحيل أن تتمكني من العناية بالكلب، فأنت تمضين النهار في المدرسة».

هبت ألكس ثائرة في وجه والدها: «وكيف ستتمكن كايت إذن من أخذه وهي تمضي نهارها في العمل؟».

صرّ فين أسنانه وقد أسقط في يده. فقال: «سوف تحضره كايت معها إلى المكتب».

بدا له ذلك أهون الأمرين. لكن ألكس أصرّت قائلة: «لم لا تحضره أنت إذن إلى المكتب خلال النهار؟ أنت تملك سيارة، وإحضاره معك لن يزعجك. وهكذا أخرجه أنا صباحاً ومساءً عندما تعود به إلى المنزل فيما يمضي بقية النهار معك في المكتب».

ألقى فين نظرة ذات مغزى على كايت. بدا واضحاً أنه يريد أن يقول لها إن الكلب كلبها وهي من يجب أن تتحمل مسؤوليته. قابلته كايت بابتسامة رقيقة، فقد سرّها أن تتمكن ابنته ذات التسعة أعوام من التغلب عليه بالمنطق.

ـ أظنها فكرة سديدة.

قالت ذلك متجاهلة عن قصد دورها في الموضوع والنظرة القاسية التي رمقها بها فين. فتابعت تقول لألكس التي أشرق وجهها على الفور: «يمكنني أخذه في نزهة ساعة الغداء وهكذا لن يسبب الإزعاج لوالدك».

ـ آه. نعم، أرجوك!

سأل فين وقد شعر بالاستياء لاستبعاده من حديثهما: «وما الذي سيحصل بعد أن تعود أليسون؟».

فسارعت ألكس إلى القول: «ستكون والدة روزا قد تعافت فتعود إلى المنزل، وأنا أراهن أنها لن تمانع في العناية بديريك»

بدا واضحاً أن فين كان يخوض معركة خاسرة. وما لبث أن استدار نحو ابنته وقال: «حسناً، لكن...»

أوقفه عن كلامه اندفاع ألكس لترتمي بين ذراعيه وهي تصيح وقد بدت في غاية السعادة: «آه، شكراً، شكراً، شكراً».

وما لبث نباح ديريك أن ارتفع أيضاً ما إن أحسّ بالحماسة التي سيطرت على الموقف.

مرت لحظة من التشوش الكامل، ولم تتمالك كايت نفسها من الضحك وقد شعرت في الوقت نفسه بالتأثر الشديد للطريقة التي احتضن بها فين ابنته. إذ بدا واضحاً أنه يخبىء خلف مظهره الفظ قلباً رؤوفاً ومحباً.

أخيراً تمكن فين من رفع صوته وسط تلك الفوضى: «لكن... بشرط واحد، هو ألا تتعلقي بهذا الكلب كثيراً ألكس. أنت تمضين وقتك في المدرسة، وأنا في العمل وروزا غير مضطرة لأخذه في نزهة كل يوم. يمكنك أخذه إلى المنزل الآن، لكن علينا أن نعيده إلى كايت ما إن تنهي عملها هنا أو حين تتمكن من إرساله إلى والديها. هل اتفقنا؟».

رفعت ألكس نظرها إليه مفكّرة، وأدركت أن هذا أفضل عرض قد تحصل عليه الآن، لذا من الأفضل أن تقبل به على أن تفكر بحل آخر في ما بعد. وأخيراً قالت وهي ترفع ذقنها كما يفعل والدها تماماً: «حسناً».

وفكرت كايت أن الأمر سينتهي بفين إلى القبول برعاية الكلب سواء شاء ذلك أم أبى. همست ألكس حين ذهب فين لإحضار معطفه: «أرجو ألا تعود أليسون أبداً»

أما كايت فعجبت من نفسها عندما أدركت أنها تتمنى ذلك هي أيضاً.

صباح اليوم التالي جاء دور فين ليصل متأخراً إلى المكتب. دخل وهو يمسك بمقود ديريك فيما راح هذا الأخير يثب حوله وبعض على مقوده بأسنانه جذلاً. كانت كايت جالسة خلف مكتبه، وما إن رأته حتى نظرت بعفوية إلى ساعتها. حذرها دون مرح: «لاتقولي شيئاً».

قطبت كايت: «لم أكن أنوي قول أي شيء».

ـ أظنك تدركين أنك وهذا الكلب أدخلتما الفوضى إلى حياتي.

غمغم بذلك تاركاً من يده مقود ديريك الذي سرعان ما تعرف إلى منقذته فأصابته نوبة من الحماسة. وبعد أن أصبح حرّاً اندفع نحوها فحملته. راح الكلب الصغير يتلوى من النشوة، ما اضطرها لإدارة رأسها بعيداً عنه بعد أن حاول لعق ذقنها وخديها، فراحت كايت تضحك ما أضفى على وجهها نوراً وجمالاً إضافيين.

بدا لفين أن مظهرها هذا غير رسمي لكنه يتّسم بالدفء والحيوية وهي تقف بين تجهيزات المكتب الجامدة حاملة بين يديها ذلك الكلب الصغير.

وبدا صوته مخنوقاً حين قال: «هذا الكلب لا يمكن السيطرة عليه».

ـ آه، لكنه لطيف! كيف يمكن له أن يتسبب بالإزعاج؟

ـ هل جرّبت أن تصطحبيه في نزهة؟ إنه لا يعرف كيف يسير إذا كان مربوطاً، وإن أفلته راح يسير في دوائر لولبية أو يركض مبتعداً ولا يعود إليك. كأن إيصال ألكس إلى المدرسة صباحاً لم يكن كافياً حتى اضطر إلى التعامل مع مخلوق صغير يتحرك كالدوامة على أربع قوائم. كما أنه أتلف أفضل حذاء لدي بالعضّ!

ـ حسناً، إنه مجرد جرو صغير، وهذا ما يفعله الجراء. عليك أن تكون

أكثر حرصاً وتبقي الأغراض بعيداً عن متناوله.

ثم قبلت رأس ديريك فتكوّر بين يديها بسعادة، فخاطبته قائلة: «أنت تحتاج إلى بعض التدريب، أليس كذلك؟ وهكذا تتعلم كيف تجلس بهدوء دون أن تزعج أحداً».

قال فين ساخطاً: «خذيه ودريه إذن، وعليه أن يقوم بشيء مفيد أثناء ذلك، كأن يحضّر طعام الإفطار أو يرتب المطبخ»

ثم تنهّد وهو يخلع عنه معطفه وقال: «يكفي سوءاً أن أليسون بعيدة عن المكتب فلا أريد أن أخسر روزا أيضاً».

حاولت كايت ألا تشعر بالإهانة لأنه يفتقد أليسون، فوضعت الكلب على الأرض وسألته: «متى ستعود؟».

ـ ليس في وقت قريب!

والتقط الرسائل التي سبق لكايت أن فتحتها وراح يقلب فيها. ثم قال: «أنا لست بارعاً في العمل المنزلي، لكن والدة روزا ما تزال في المستشفى ولا أدري كم من الوقت ستتغيب بعد».

ـ ألا يمكنك الاستعانة بأحد بصورة مؤقتة؟

ـ ذلك أمر صعب، كما أن ألكس تكره التغيير. إنها تكره فكرة وجود مدبرة المنزل من الأساس، وتفضل أن نبقى نحن الإثنان بمفردنا في المنزل. ومع أنها تقبلت وجود روزا إلاّ أن وجود شخص آخر معنا لا يسرّها كثيراً.

ـ إن ذلك صعب عليك حقاً!

قطب فين جبينه وقد أدرك متأخراً أنه يفضي إليها بهمومه الخاصة، وقال فجأة: «نعم. حسناً، من الأفضل أن أدخل إلى مكتبي. هل من رسائل خاصة؟».

ـ اتصلت مساعدة السيد أوسبورن الشخصية. هل يمكنك أن تتصل به؟

ـ ما الذي يريده؟

راجعت كايت دفتر ملاحظاتها وقالت: «يريدك أن تذهب لمقابلته بعد ظهر هذا اليوم. هناك نقاط يود أن يستوضح عنها قبل أن يأخذ قراراً نهائياً...».

وإذا بفين يطلق شتيمة خافتة، فسألته: «ما الأمر؟».

ـ أعرف أن علي الذهاب لمقابلته، إذ لا يمكننا تحمل خسارة هذا العقد. لكنني وعدت ألكس بأن أذهب لإحضارها من المدرسة، فهي تريد أن يرى الجميع ديريك.

قطب جبينه وراح ينظر إلى الأرض ويقول: «لطالما كانت طفلة منعزلة، لكنني أملت أن تتمكن من إيجاد أصدقاء لها في هذه المدرسة الجديدة. وللمرة الأولى، هذا الصباح، تبدو مهتمة لما يقوله الأولاد الآخرون».

قالت كايت: «لِمَ لا أذهب إليها أنا مع ديريك؟

رفع فين رأسه وحدّق بها: «هل يمكنك القيام بذلك؟».

لم تتمكن كايت من النظر إلى عينيه، وهي لم تعرف ما الذي دفعها لتقديم هذا الاقتراح... ربما أملت أن يخفف ذلك من الخطوط المتوترة التي تبدو حول فمه ومن القلق الذي يظهر في صوته.

ـ لن أمانع في القيام بذلك. ثم.. إنها غلطتي إلى حد ما، فلو لم أحضر الكلب إلى هنا لما وجدت نفسك في هذه الورطة.

تردّد فين: «قد لا أعود قبل الساعة السابعة إذا أصر أوسبورن على بحث كافة التفاصيل».

شغلت نفسها بترتيب الأوراق فوق مكتبها وهي تقول: «لا بأس في ذلك، يمكنني أن أبقى مع ألكس إلى أن تعود إلى المنزل».

ـ هل أنت واثقة؟ إنه مساء الجمعة، أليس لديك مخططات أخرى؟

ـ ليس هناك شيء خاص. وعلى أي حال، يمكنني الخروج في وقت لاحق.

التمعت عينا فين الرماديتان: «حسناً، ما دمت لا تمانعين في ذلك

www.elromancia.com

سوف أكون ممتناً إذا ما ذهبت لإحضار ألكس من المدرسة. سأعطيك عنوان المدرسة وأؤمن لك سيارة تقلك إلى هناك ثم إلى المنزل».

لماذا تفعل ذلك؟ تساءلت كايت وهي تجلس مع ديريك في المقعد الخلفي لسيارة الليموزين التي استأجرها فين. لقد صمّمت أن تتحلى بأعصاب باردة ومظهر رسمي... والآن، سوف تفكر بيلا أنها تورط نفسها مع فين. لكن، لا، فالأمر ليس كذلك. إنها تقدم له المساعدة فقط لأنه في مأزق، وهي قد تفعل ذلك مع أي كان.

وقوفها أمام بوابة المدرسة مع بقية الأمهات والمربيات كان تجربة فريدة. وفكرت ما تراها ستشعر به لو أنها أم حقيقية لا مربية مزيفة؟ كيف ستشعر لو أنها تنتظر أطفالها الحقيقيين لتعيدهم إلى دفء المنزل المليء بالحب والأمان؟

ما إن لاحت لها هذه الفكرة حول إنجاب الأطفال حتى أبعدتها من ذهنها. لا سيما وأنها ترافقت مع صورة فين كأب صالح. تطاولت بعنقها لتبحث عن ألكس، وأخيراً لمحتها تبحث بدورها عن والدها بين الجمع المحتشد أمام بوابة المدرسة. رأت كايت على وجهها خيبة الأمل المرّة والتجهم حين لم ترَ والدها. فاندفعت إلى الأمام بين الأمهات المتدافعات وهي تحمل ديريك بين يديها ثم لوحت لها لكي تلاحظ وجودها وناداتها: «ألكس!».

وسرعان ما تلاشت نظرة الخيبة من عيني الفتاة ما إن لمحت كايت برفقة الكلب. فأضاءت البهجة وجهها واندفعت راكضة نحوها. قالت لها كايت بسرعة: «والدك آسف حقاً لأنه لم يتمكن من المجيء، لكنه أرسل إليك ديريك، فهل لديك مانع في ذلك؟».

وكانت قد وضعت الكلب على الأرض، فانحنت ألكس لتلاطفه ورفع هو قائمتيه الأماميتين متسلقاً حتى ركبتيها كأنه يرحب بها بدوره. ثم قالت: «لا بأس طالما أنه أرسل إلي ديريك».

وما هي إلا لحظات حتى تجمع الأولاد فشكلوا حلقة حول ديريك، فقالت لهم ألكس دون اكتراث: «إنه كلبي».

أعجبت كايت بالطريقة التي تعاملت بها ألكس مع الموقف، إذ بدا أنها لا تهتم إذا ما كان الآخرون يحسدونها على اقتنائها كلباً. لعب ديريك دوره ببراعة أيضاً. فراح يرحب بكل ولد بحماسة بالغة جعلت كلاً منهم يسألها إن كان بإمكانه أن يستعيره لبعض الوقت. وأخيراً أمسكت ألكس مقود الكلب بحزم ولوّحت مودعة للآخرين وقد تلون خداها بلون وردي. بدا واضحاً أنها تشعر بالرضى، فوجود ديريك قد أكسبها شهرة لا بأس بها بين الأولاد.

تنظيم المكتب وأثاثه العصري جعلا كايت تعتقد أن منزل فين من طراز مماثل. لكنها أدركت خطأها ما إن رأت المنزل الفكتوري الطراز المحاط بحديقة رائعة. إنه في الواقع منزل مثالي لاقتناء كلب. من الداخل، بدا المنزل مصمماً على يد محترف إلا أنه بدا بارداً خالياً من الحيوية ما جعل كايت تشعر بالكآبة. أرشدتها ألكس إلى المطبخ ذي النوافذ الفرنسية الطراز التي تشرف على الحديقة. ثم أشارت إلى سلة موضوعة في إحدى الزوايا قائلة: «كنت أرغب أن ينام ديريك في غرفتي، لكن أبي قال إن من الأفضل أن ينام في المطبخ».

قالت كايت بلباقة: «أظن أن المطبخ مكان مناسب له».

لا بد أن هذه المسألة كانت موضع صدام أيضاً بين الأب وابنته. لا عجب إن بدا فين مرهقاً هذا الصباح! نظرت حولها، وتذكرت ما قاله فين عن ضجره من تناول المأكولات الجاهزة، واقترحت أن يخرجا في نزهة برفقة ديريك ثم يمرّا على أحد المتاجر لشراء بعض الأغراض اللازمة لتحضير وجبة عشاء. نظرت إليها ألكس مستغربة: «هل تجيدين الطهو؟».

ـ حسناً، لست خارقة في ذلك لكن يمكنني تحضير العديد من الأطباق. ماذا تحبين أن تأكلي؟

وشعرت ألكس بالسرور لمعرفتها أن كايت تعرف كيفية تحضير طعامها المفضل، «المعكرونة بالجبنة». فقالت: «روزا لا تطهو هذا النوع من المأكولات أبداً.

وتابعت: «هل تجيدين تحضير البودنغ؟».

ـ نعم، لماذا؟ هل تودين أن أحضره لك أيضاً؟.

ـ أبي يحب البودنغ لكن روزا ليست بارعة في تحضيره.

أحبّت كايت فكرة أن يكون لدى فين ضعف أمام شيء ما، حتى لو كان أحد أصناف الحلوى. فسألت ألكس: «هل تظنين أنه يحبه بالشوكولا؟».

ـ نعم. فهو يحب الشوكولا.

ـ حسناً، لنرَ ما يمكننا عمله.

عاد فين إلى المنزل ليجد ابنته وسكرتيرته المؤقتة والكلب في المطبخ. لم ينتبه أي منهم لوجوده فوقف متردّداً عند باب المطبخ ليراقب المشهد. في الأحوال العادية تأوي ألكس إلى غرفتها في مثل هذا الوقت، أما اليوم فهي جالسة إلى طاولة المطبخ تساعد كايت في تحضير الطعام وقد غمرتها السعادة، فيما يجثم الكلب عند قدميها. كان الطحين متناثراً في كل مكان وحوض الغسيل مليئاً بالصحون وأدوات تحضير الطعام. بدا وجه ألكس ممرغاً بالشوكولا، أما حالة كايت فلم تكن أفضل. فوجيء فين لأنه لم يرَ المطبخ في مثل هذه الفوضى من قبل... كما لم يره بهذا الترحيب أيضاً. كانت كايت ترتدي مريول روزا. ما إن رأت فين حتى رفعت إحدى يديها لتبعد خصلات شعرها إلى الوراء ما ترك لطخة من الطحين على جبهتها.

ـ يا له من كلب حراسة يعتمد عليه!

جاءت سخريته هذه تمويهاً للجفاف الذي شعر به في حنجرته. أجفلت كايت من نبرة صوته وراح ديريك يقفز حول قدميه وهو ينبح ويلوح بذيله بقوة كأنه يحتج لأن فين لم يبد تجاوباً مع ترحيبه الحار به. انحنى فين ليقبل ابنته فقالت له: «إنه مسرور لرؤيتك أبي».

أحنت كايت رأسها فوق الطبق التي وضعت فيه الطحين، محاولة أن تستعيد أنفاسها. فظهور فين المفاجيء على الباب جعل قلبها يقفز إلى حنجرتها وقد تسارعت خفقاته. الصدمة التي شعرت بها لظهوره غير المتوقع أصابتها بالدهشة، ولم تعرف ما عليها أن تفعل لتهدىء اضطرابها. لا داعي لأن تشعر الإحساس إذ لم يكن القادم سوى فين!

ردّت على تحيته بصوت خفيض أجش: «مرحباً»

وراحت تشغل نفسها بخفق الطحين في الطبق بتوتر. رأته من تحت رموشها وهو يخلع سترته ثم يحلّ عقدة ربطة عنقه قبل أن يقول: «هناك رائحة شهية!».

شدّته ألكس من كمّه بحماسة قائلة: «كايت أعدّت معكرونة بالجبنة مع السلطة، كما أعدت بودنغ بالشوكولا. لقد صنعناها خصيصاً لك».

رمق فين كايت بنظرة سريعة فغزت الحرارة خديها وارتجفت يداها ما جعل الطحين يتناثر عند حافة طبق التحضير. ثم قالت: «أخبرتني ألكس أنك تحب الشوكولا»

ـ نعم، أحبها.

قالت بارتباك: «أرجو ألاّ تمانع بدخولي المطبخ. فكرت أن أعد لكما العشاء ما دمت هنا»

ردّد فين: «أمانع؟ بل إنني ممتن لك!».

بدا أقل قسوة ورهبة مما هو عليه عادة... لقد بدا طبيعياً. وفكرت كايت أنه الآن في منزله لذا من الطبيعي أن يبدو أكثر استرخاءً مما هو عليه في المكتب.

قالت في محاولة لإخفاء ارتباكها: «شارفت على الانتهاء، سوف أنظف كل شيء قبل ذهابي».

فقال فين: «لكنك ستبقين لتناول العشاء معنا، أليس كذلك؟».

وأردفت ألكس أيضاً: «نعم، يجب أن تبقي!».

ـ حسناً، أنا...

ذكّرها فين: «أخبرتني أن ليس لديك شيء خاص لهذه الليلة».

ـ كلا، لكن...

وسارع يقول: «سأطلب سيارة أجرة لتوصلك لاحقاً إلى منزلك»

ثم... وكأنما الكلمات خرجت لوحدها من فمه، فقال: «أرجوك إبقي».

ماذا يمكنها أن تقول؟

ـ حسناً، شكراً.

لم يدرك فين ما الذي فعله بها بابتسامته تلك. لقد ابتسم لها... ابتسامة حقيقية. ثم قال: «أنا من عليه أن يكون شاكراً».

حين خرج من المطبخ ليبدل ثيابه كانت كايت ترتجف من التأثر. لطالما تساءلت كيف تبدو ابتسامته، ولطالما تخيلته مبتسماً، لكن ذلك كلّه لم يكن شيئاً بالمقارنة مع تلك الابتسامة التي أنارت وجهه وأرسلت البريق من عينيه الرماديتين وألانت قساوة فمه. كانت تلك الابتسامة كافية لتبعث الوهن المفاجيء في أوصالها وذلك الخفقان السريع في قلبها، فقد بات هذا الأخير يعمل فوق طاقته منذ اللحظة الأولى التي خطا فيها فين نحو المطبخ.

واجهت كايت هذا الواقع بشعور الذنب... إنها تفعل بالضبط ما حذرتها منها بيلا. لقد شعرت بالأسف على فين مذ علمت بمأساته، وها هي تجد نفسها الآن منجذبة إليه. يا لسخافة عقلها! ألم يكفها ما عانته بسبب حبها لرجال غير مناسبين؟ من المؤكد أن فين ليس أفضل منهم. فهو ليس فقط ملتصقاً بذكرى زوجته المتوفاة بقوة، بل إنه رئيسها أيضاً.

كما أن أليسون سوف تعود إلى العمل في وقت قريب، فما هو مصيرها بعد ذلك؟ يجدر بها أن تكون في مكان ما حيث تمرح مع شخص آخر، لا قابعة في مطبخ منزل ڤيكتوري الطراز مرتدية مئزراً، تشعر بالارتباك لمجرد

أن فين ابتسم لها!

عليها أن تتمالك نفسها، لقد ساعدته بما يكفي لهذا اليوم. سوف تتناول العشاء ثم تغادر هذا المنزل، ولن تفكر بالتقرب من صاحبه أكثر بعد الآن.

www.elromancia.com

٥ ـ غريبان في عتمة الليل

خلدت ألكس إلى النوم، واقترح فين أن يتناولا القهوة في غرفة الجلوس. أغلق الستائر الحمراء السميكة ليحجب عتمة الليل البارد، وأضاء مصباحاً في إحدى الزوايا، ثم انحنى ليشعل المدفأة.

أضفت ألسنة النار المتراقصة على الغرفة جواً حميماً، ما جعلها تشعر بالتوتر لوجودها وحدها مع فين. فقد بدا مختلفاً هذه الليلة، إنها المرة الأولى التي تراه فيها دون بذلة رسمية. لقد بدّل ثيابه قبل العشاء وارتدى بنطلوناً عادياً مع قميص مريح، فبدا أصغر سناً وأقل صرامة، ما جعل حواسها متنبهة إليه بشكل كبير.

حاولت ألا تنظر إليه وهو يستقيم ليبتعد عن المدفأة ثم يجلس إلى الناحية الأخرى من الأريكة، ما دفعها إلى أن تقول شيئاً ولو كان تافهاً، فقالت: «إنها غرفة جميلة».

نظر فين حوله وكأنه لم يرَ هذه الغرفة من قبل، ثم قال: «أنا لا أستخدم هذه الغرفة كثيراً، فهي كبيرة جداً. عادة، عندما أكون وحدي أمضي الوقت في غرفة المكتب».

شعرت كايت بالأسف لأن هذه الغرفة الجميلة تبقى فارغة فيما ينعزل فين كل مساء في غرفة المكتب، فقالت: «لا بد أنك تشعر بالوحدة أحياناً».

شعرت أن عيني فين قد ومضتا ببريق غريب وهما تنظران إلى وجهها قبل أن ينظر بعيداً ليقول: «اعتدت على ذلك الآن».

استمدت الشجاعة من العتمة وألسنة اللهب لتسأله: «هل تفتقدها طيلة الوقت؟».

ـ إيزابيل؟

تنهّد فين وحدّق إلى النيران: «في البداية بدا الأمر كالجحيم، أما الآن... فإنني أفتقدها من حين لآخر. ففي بعض الأحيان أتقبل فكرة غيابها وفي أحيان أخرى أشتاق إليها كثيراً حتى إنني أشعر بألم جسدي لذلك... عندما أنظر إلى ألكس أشعر بالغضب لأنها ليست هنا لترى ابنتها وهي تكبر شيئاً فشيئاً».

لم تعرف كايت ما عليها أن تقول لكنها قالت بهدوء: «أنا آسفة»

نظر فين إليها من جديد وقد جعل الضوء الخافت تعابير وجهه غير واضحة ثم سألها: «هل تعرفين ماذا حصل؟».

رشف آخر رشفة من كوب العصير، ثم قال: «من الصعب رعاية طفل بمفردك، وأسوأ ما في الأمر أنك لا تجدين من يشاركك همومك. ألكس تبدو صعبة المراس أحياناً، وهذا يجعلني أفتقد إيزابيل أكثر فأكثر. لقد كانت هادئة ولطيفة، ولا شك أنها ستحسن التعامل معها لو كانت هنا».

ـ لكن ألكس تبدو سعيدة.

قالت كايت ذلك وهي تتذكر ثرثرة ألكس أثناء العشاء.

ـ الفضل يعود إليك.

ارتخى فكا كايت وسألته: «لي أنا؟».

ـ لم أرها بمثل هذه السعادة منذ وقت طويل، والفضل يعود إلى هذا الكلب المغفل الذي أعطيتنا إياه.

مال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه، فراحت ظلال ألسنة النار تتراقص فوق وجهه لتضيء الخطوط التي سببها الإجهاد. ثم قال: «إنها تشعر بالاستياء لفكرة وجود مدبرة المنزل ولا يمكنها أن تفهم لِما لا نستطيع تدبر أمرنا بنفسينا. لطالما فكرت بأن أبيع الشركة وأبقى في المنزل من

أجلها، لكن ما الذي سيحلّ بكل أولئك الذي يعملون معي بإخلاص؟ وكيف سأتمكن أنا من ملء أوقاتي؟ فألكس تمضي النهار في المدرسة».

وبدا واضحاً أنه يستعرض خياراته من جديد ثم قال: «أما البديل عن ذلك بالتأكيد هو أن أتزوج ثانية. فألكس تكبر وهي بحاجة إلى امرأة ترعاها، لكن ليس من العدل أن أطلب من امرأة أن تتزوجني لتكون فقط أماً بديلة لها».

تراجع إلى الوراء يائساً. بدا متعباً جداً حتى إن كايت شعرت بدافع قوي لتضع ذراعها حول كتفيه، وتلقي برأسه فوق صدرها وتقول له إن كل شيء سيكون على ما يرام، وإنها إلى جانبه... لكن هذه لم تَبدُ لها الطريقة المثلى. ابتلعت ريقها بصعوبة وحدقت إلى النيران وقالت: «ألهذا السبب ذهبت إلى العشاء عند جيب وفوبي؟ أكنت تبحث عن أم بديلة مناسبة لابنتك؟».

ـ تقريباً، قلت لنفسي إنه يجدر بي أن أبذل بعض الجهد وأن ألتقي أكثر بالناس. فكرت أنني إذا التقيت بامرأة مناسبة، قد تتغير الأمور بطريقة ما، لكن...»

أنهت كايت جملته: «لكنك التقيتني أنا».

ـ قال فين بعد لحظة: «نعم، التقيتك أنت».

وساد بينهما صمت، خالت كايت أنه استمر إلى الأبد، وبدا الجو مشحوناً بالكلام الذي لم يُقل. لم تكن هي الأم البديلة التي يبحث عنها، ولم تتغير الأمور بالنسبة إليه بعد أن التقاها...

وأخيراً خرق فين الصمت قائلاً: «ما الذي كنت تفعلينه هناك؟».

ـ فوبي هي إحدى أعز صديقاتي.

ـ هل كنت تعلمين أنني سأكون هناك؟

ـ نعم.

ثم أضافت بسرعة: «أعني علمتُ أنهما دعوا ضيفاً إلى العشاء

ويريدانني أن ألتقيه، لكنني لم أعلم أن هذا الضيف هو أنت».

نظر إليها فين بفضول: «لست أفهم».

ـ ماذا تعني؟

ـ أنت فتاة جميلة، لا بد أنك تعرفين ذلك. أنت مليئة بالحيوية وذكية أيضاً حين ترغبين بأن تكوني كذلك، ومن الواضح أن لديك العديد من الأصدقاء، كما أنني أعتقد أن الرجال يتسابقون لكسب ودك. فلِمَ تحتاج فتاة مثلك إلى أن يدبر لها أصدقاؤها موعداً مع رجل لا تعرفه؟

هزت كايت كتفيها: «ليس الأمر بالسهولة التي تتصورها، لا سيما عندما تكون قد تجاوزت الثلاثين من العمر. ستجد أن جميع الرجال الجيدين لديهم علاقاتهم، وينتهي الأمر بك إلى القبول بغباء بما هو متوفر».

وظهرت المرارة في نبرة صوتها وهي تابع: «هذا ما حصل معي على أي حال».

ـ يبدو واضحاً أن أحدهم سبب لك التعاسة.

نظرت كايت إلى السقف وراحت تتذكر: «اسمه ساب، وهو أحد المدراء التنفيذيين الشباب في الشركة التي كنت أعمل فيها. أحببته بجنون ورحت أحلم به من بعيد. كان يبدو أنيقاً، ساحراً، بارعاً مع النساء... كان ذلك جزءاً من جاذبيته».

قالت جملتها الأخيرة بسخرية وتابعت: «عندما لاحظ وجودي بين الفتيات الأخريات، لم أصدق نفسي وكدت أطير من الفرح».

تنهّدت قليلاً: «فوبي وبيلا لم تحباه أبداً، أما أنا فكنت مسحورة به. من الصعب أن أشرح ذلك الآن، فلديه شخصية قوية تجعلني غير قادرة على التفكير حين أكون معه. قلت لهما إنهما لم تستطيعا فهمه كما فهمته أنا. أقنعت نفسي بأن أنانيته ناشئة عن طريقة تربيته، وأن في داخله طفل معذب. ظننت أن كل ما يحتاج إليه هو الحب والمرأة المتفهمة، وأنني أنا من

ستغيره. كم كنت غبية».

وضحكت، لكن المرارة بدت واضحة في ضحكتها. فقال فين يخفف عنها: «جميعنا نرتكب الأخطاء».

مالت كايت إلى الأمام لتحمل فنجان القهوة وقالت: «معظم الناس يتعلمون من أخطائهم أما أنا فلا. كانت علاقتنا، كما يقولون في المجلات، «علاقة مدمّرة». رحت أختلق الأعذار كي ألتقي به، ثم أنتظر بيأس أن يتصل بي، وأتفقد بلهفة مخابراتي الهاتفية وبريدي الإلكتروني. وكان هو يعرف ذلك، لكنه تجاهل وجودي تماماً، إلى أن فقدت الأمل. ثم بدأ يتصل بي أو يزورني في أوقات غير متوقعة، فشعرت بالسعادة لرؤيته ولم أفطن إلا بعد فوات الأوان إلى أنه لا يفعل ذلك إلا لأنه يريد مني شيئاً.. فهو يريد إما اقتراض المال وإما من يغسل له ثيابه»

ولاحظت أن فين ينظر إليها باستغراب، وإذا به يسألها: «ما الذي جعلك تغيرين رأيك فيه؟».

ـ ذهبت إلى مكتبه ذات مساء، وكنت قد وجدت عذراً مناسباً كي أتأخر في العمل كالعادة لعلمي أنه سيكون هناك، فوجدته يصرخ في وجه إحدى عاملات التنظيف. لم أعرف ما هو الخطأ الذي ارتكبته تلك المسكينة، لكنها بدت مرتعبة. لحسن الحظ أنها لا تفهم اللغة الإنكليزية جيداً، ولم تفهم الكلمات القذرة التي كان يستخدمها. عندما قلت له إنه لا يحق له التكلم معها بهذه الطريقة، ارتد إلي وراح يجادلني بقسوة. وانتهى بي الأمر بأن قلت له إنني سأقدم شكوى بحقه لاستخدامه الكلام البذيء، فهذا يعد اعتداء كلامياً على الآخرين.

ـ وماذا قال لك؟

ـ قال إنه هو من سيتقدم بشكوى ضدي لمضايقتي الدائمة له ثم تابع بسخرية: «من سيصدقون برأيك، سكرتيرة غير بارعة أم مدير تنفيذي متألق؟». وهذا ما فعله بالضبط. وهكذا فقدت وظيفتي.

ثم تابعت تقول: «المشكلة هي أنهم لم يعطوني شهادة بمؤهلاتي، ما يعني أنني لن أتمكن من الحصول على وظيفة أخرى. فلم يكن أمامي سوى التوجه إلى وكالة التوظيف المختصة بالوظائف المؤقتة، ووظيفتي لديك هي الأولى التي حصلت عليها».

منحته ابتسامة مشرقة ثم قالت: «لهذا السبب علي أن أبذل ما بوسعي لكي أترك لديك انطباعاً جيداً بحيث أحتفظ بتلك الوظيفة حتى عودة أليسون».

وكان ذلك صحيحاً. فإذا أعطى فين تقريراً سيئاً عنها قد تجد نفسها خارج لائحة وكالة التوظيف. لكن كايت لم تجد ضرورة للبحث في هذا الموضوع الآن.

وضع فين فنجان القهوة بتأن على الطاولة وسألها: «هل هذا ما تحاولين القيام به الآن؟».

ردّدت بصوت أجوف: «الآن؟».

ـ إحضار الكس من المدرسة، إعداد العشاء، وكل تلك الأمور.

جاء صوته خشناً وكأنه أصيب بخيبة أمل. فقالت كايت: «كلا! حتى إنني لم أفكر بهذا الأمر مطلقاً. بالإضافة إلى ذلك، لا أظن أن طهو المعكرونة بالجبنة يعزز مؤهلات الموظف لدى رئيسه. كنت آمل فقط أن تلاحظ أنني أصبحت أكثر اجتهاداً في العمل وأكثر دقة في الالتزام بالمواعيد».

ـ فهمت.

لم يقل فين سوى ذلك إلا أنه بدا أقل صلابة مما كان عليه قبل لحظات. فتابعت تقول: «قررت أن أصبح أكثر فعالية في كل ما أقوم به. لقد علمني ساب درساً قيّماً... من الآن فصاعداً سوف أفصل حياتي الشخصية عن حياتي العملية، كما أنني لن آخذ أي علاقة مع أي كان على محمل الجد. سوف أستغل كل فرصة متاحة لمقابلة أشخاص جدد حتى لو كان ذلك عبر

www.elromancia.com

موعد مدبّر. وهكذا، قبلت دعوة فوبي إلى العشاء».

ردّد فين الكلمات نفسها التي قالتها كايت من قبل: «لكنك التقيتني أنا».

شيء ما في صوته جعل كايت تدير رأسها. كان يراقبها من الجهة الأخرى للأريكة، وقد بدت تعابيره غامضة، لكن عينيه أوقعتاها في شباكه دون سابق إنذار. توقفت أنفاسها في حنجرتها وشعرت بالخدر في مختلف أنحاء جسمها، وكأن نظراته الثابتة عليها قد أصابتها بسهامها. ساد حولهما صمت رهيب، لا يقطعه سوى همسة احتراق الغاز في المدفأة ودويّ نبضات قلبها التي تقرع كالطبول في أذنيها.

عندما أشاح فين بنظره عنها شعرت بالارتياح وكأنها تحررت من قيد كان يكبلها. أجبرت نفسها على الابتسام قائلة: «نعم، لقد شعرت بالصدمة، فليس من التسلية في شيء أن تجد نفسك في موعد مع رئيسك».

قال فين وهو يحدق إلى النيران: «لا، لا أظن ذلك».

من الأفضل اقناع فين بأنها لم تكن تهدف سوى إلى التسلية، لكن كايت وجدت أن تطبيق ذلك عملياً ليس مسألة سهلة. فلطالما وجدت نفسها تفكر كيف يتدبر فين وألكس أمرهما في غياب مدبرة المنزل، فيجعلها ذلك تشعر بالسخط. إنها ليست مشكلتها! هذا ما دأبت على تذكير نفسها به باستمرار، من المفترض أن تعيش حياة هادئة وتقضي أوقاتاً مسلية، لا أن تقلق بشأن الأرامل الذين يشعرون بالحزن والأولاد والذين فقدوا أمهاتهم. كانت تفكر بألكس وكلبها الصغير أحياناً، لكن فين هو الذي يستحوذ على أفكارها معظم الأحيان. لم تغب عن ذهنها صورته وهو يجلس عند الطرف الآخر للأريكة وظلال ألسنة النيران تتراقص على وجهه، الابتسامة التي أضاءت قساوة ذلك الوجه، أو تلك الخطوط الصارمة حول فمه... أما في المكتب، فإن الأمور بدت أكثر سوءاً. إذ راحت تشعر التوتر والاضطراب لا سيما عندما تكون في الغرفة نفسها مع فين، أما إذا اقترب

منها لأمر ما فيصيبها الارتباك وتتصرف بشكل أخرق كأن تريق قهوتها أو توقع الأوراق من يدها، ويعلو الاحمرار خديها إذا ما نظر إليها فجأة. لم يبق سوى ثلاثة أسابيع على موعد عودة أليسون، ولم تكن كايت واثقة هل تتوق إلى ذلك الموعد الذي سيخلصها من لحظات الارتباك والإحراج التي تمر بها أم أنها تخشاه! راحت أحياناً تتخيل أنها تعمل في مكتب آخر ومع رئيس آخر لكنها لم تحتمل تلك الفكرة.

منذ ذلك اليوم الذي أحضرت فيه ألكس من المدرسة ساد جو المكتب الارتباك والحذر. بقي فين صارماً في ما يتعلق بالعمل لكنه غدا أكثر تهذيباً، ووجدت كايت نفسها أكثر من مرة، تتمنى لو أنه يعود إلى سابق عهده معها فيصرخ في وجهها ويتعامل معها بنكد وإزعاج.

كان يوم الجمعة حافلاً بالعمل، وعملت كايت بجهد لإنهاء تلك اللائحة الطويلة من الأعمال التي كلفها بها فين. وبعد ظهر ذلك اليوم كانت تجلس قبالته في مكتبه لتدون ملاحظات جديدة، لكنها بدت شاردة النظرات بين يديه اللتين تقلبان الأوراق وحركة فمه الذي يصدر التعليمات بدقة، وما إن رفع بصره نحوها حتى فقدت تركيزها ونسيت ما عليها القيام به.

ـ هل أنت بخير؟

سألها فين ذلك بعد أن طلبت منه أن يكرر ما قاله للمرة السادسة. فأجابته وقد علا الاحمرار خديها: «نعم»

في الواقع، لقد باتت تحمر خجلاً في الفترة الأخيرة كلما نظر إليها.

ـ تبدين مشوشة الفكر أكثر من العادة.

ـ أنا متعبة قليلاً، وهذا كل شيء. لقد أطلت السهر بالأمس، وأنت تعرف كيف تحصل الأمور عندما تكون مستمتعاً بوقتك.

قال بخشونة: «سأعتبر ذلك صحيحاً».

توقف قليلاً وراح يقلب بعض الأوراق بعبثية، ثم قال: «لقد قلت

لألكس إن حياتك الإجتماعية حافلة، لكنني وعدتها، مع ذلك، بأن أسألك».

سألته كايت وقد فوجئت بكلامه: «تسألني ماذا؟».

ـ يبدو أنها تعتبرك خبيرة في شؤون الكلاب. وأنت أكثر خبرة منا على أي حال! تريدك أن تعلميها كيف تدرب ديريك، علّ ذلك يكون بعد ظهر أحد الأيام خلال عطلة نهاية الأسبوع.

تذكرت كايت أنها وعدت ألكس بأن تعلمها كيف تدرّب ديريك، لكن لم تكن تلك هي المشكلة، المشكلة هي هل ترغب فعلاً بالخروج برفقة فين؟ لاحظ فين تردّدها فقال: «لقد قلت لها إنك ربما تكونين مشغولة».

فتحت فمها لتقول عبارة تمكّنها من التهرب من هذه الدعوة، وعوضاً عن ذلك وجدت نفسها تقول: «لا... لا، لست مشغولة».

وراح فمها يتحرك ليتفوه بكلام مناقض تماماً للأوامر الصارمة التي يصدرها عقلها. فمع أن عقلها يحذرها بألا تتورط أكثر إلا أنها وجدت نفسها تقول: «نعم، بعد ظهر أحد الأيام سيكون مناسباً. يمكننا الذهاب إلى إحدى الحدائق العامة».

ـ إنه لطف منك، ستسرّ ألكس كثيراً بذلك.

قال هذا بنبرة متكلّفة، حتى إنها تساءلت إن كان يفضل لو أنها رفضت طلبه. وودّت أن تسأله: وماذا عنك؟ ألن يسرّك الأمر؟ وإذا به يقول بلباقة وتهذيب: «هل يناسبك بعد ظهر يوم الأحد؟».

ـ نعم، لا بأس في ذلك.

ـ سنأتي لاصطحابك بالسيارة حوالي الساعة الثانية. موافقة؟

صباح يوم الأحد راحت كايت تتحرك بقلق في أنحاء المطبخ، وهي تبعد الرزم والأغراض عن المسطح الرخامي لتمسحه بعدئذٍ بفوطة. نظرت إليها بيلا بقلق وسألتها: «ما الذي جعلك ترتبين المطبخ فجأة؟».

ـ لا شيء، لكنه في حالة من الفوضى.

ـ إنه كذلك دوماً لكنك لم تزعجي نفسك بالأمر من قبل. هل تنتظرين أحداً؟

ـ فين وابنته سوف يأتيان بعد الظهر.

حاولت أن يبدو صوتها طبيعياً لكن ذلك لم يخدع بيلا، فقالت: «فين، رئيسك الذي تكرهينه والذي تشعرين بالأسف لأجله؟ ذلك الذي لا تنوين أبداً التورط معه؟».

اعترفت مرغمة: «نعم».

ـ هل يمكنك أن تشرحي لي ما الذي يعنيه قدومه إلى منزلك بعد الظهر يوم الأحد وأنت لا ترغبين في التورط معه؟

ـ حسناً، إنه في الواقع موعد مع ابنته. سوف نأخذ الكلب في نزهة، وفين سوف يوصلنا بالسيارة فقط.

بدا واضحاً أن بيلا لم تصدق كلمة من ذلك، فقالت: «هكذا إذن!».

ـ إنها الحقيقة. أنا ذاهبة فقط لأنني أشعر ببعض المسؤولية عن ذلك الكلب.

ملأت بيلا الأبريق بالماء وسألتها: «ماذا أقول لتوبي إذا اتصل وأراد أن يراك ثانية؟».

قالت كايت بصرامة: «بكل تأكيد. فأنا أرغب بقضاء أوقات ممتعة».

ـ ألهذا السبب أراك تتحضرين للنزهة قبل أربع ساعات؟ ما الذي سترتدينه؟

يا الهي! إنه سؤال جيد. ما الذي سترتديه فعلاً؟ عادت إلى غرفتها، وراحت تنقب بين ملابسها... بدا الاختيار صعباً، لكنها قرّرت أخيراً ارتداء بنطلون جينز مع كنزة حمراء اللون هي المفضلة لديها. بدا لها أن بعض الكعك المحلّى فكرة لا بأس بها بعد نزهة في الطقس البارد! ركضت بسرعة عائدة إلى المطبخ وراحت تبحث فوق الرفوف عن الطحين والكريما. ثم سألت: «هل لدينا بيكاربونات الصوديوم؟».

www.elromancia.com

رفعت بيلا بصرها عن صفحة أخبار المجتمع في جريدة الأحد التي تتصفّحها وقالت: «لماذا تريدينها؟».

ردّت كايت دون انتباه: «أريد تحضير بعض الكعك المحلّى»

هزّت بيلا رأسها: «الكعك المحلّى؟ لا شك أنك غارقة حتى أذنيك».

لكنها تابعت حين رأت أن كايت تحاول الاحتجاج: «ابحثي على الرف الأخير».

ظلت كايت تتحرك داخل المطبخ لبقية الصباح، وكادت بيلا تفقد صوابها لمحاولتها ترتيب كل ما حولها. فحملت الجريدة وفنجان القهوة وقالت متذمرة قبل أن تذهب إلى غرفة الجلوس: «أرجو أن يأتي فين بسرعة ليتشلك من بؤسك هذا».

وأخيراً رن جرس الباب. كانت كايت تشعر بتوتر لم تشعر به منذ أن خرجت في موعدها الأول. شدّت كنزتها إلى الأسفل، ومرّرت أصابعها في خصلات شعرها ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح الباب.

كان فين يقف هناك خلف ألكس، وراح قلب كايت يخفق بقوة لرؤيته. أبعدت نظراتها عنه بسرعة لتنظر إلى ألكس التي عانقتها بقوة وتلقائية. لو أن الظروف مختلفة لما ترددت كايت بمعانقة ضيفها للترحيب به، لكن مجرد التفكير بملامسة فين ولو بسرعة خاطفة يبدو محفوفاً بالمخاطر. تمكنت من دفع ابتسامة إلى وجهها وقالت: «مرحباً».

جلست ألكس في المقعد الخلفي للسيارة إلى جانب ديريك الذي بدا بالغ الحماسة. وراحت تثرثر طيلة الوقت، فكانت كايت تومىء برأسها حيناً وتبتسم أو ترد عليها بعبارات مقتضبة أحياناً.

شعرت بالارتياح بعد نزولها من السيارة، وتمكنت من تركيز انتباهها على ألكس وديريك. راحت تعلم الفتاة كيف تقدم للكلب بعض الطعام عندما ينفذ ما تأمره به وذلك تشجيعاً له. ولم يمض وقت طويل حتى تعلم ديريك كيف يجلس بهدوء منتظراً أن تدعوه إليها فيقترب ملوّحاً بذيله،

وشعرت ألكس بالبهجة لذلك فقالت: «إنه كلب ذكي، أليس كذلك، أبي؟».

بعدئذٍ، قاموا بنزهة عبر الحديقة. كان الطقس بارداً وعاصفاً، وراحت الريح تعبث بشعر كايت فيتطاير حول وجهها، أما ألكس فكانت تركض في المقدمة مع ديريك، فيما يسير فين ورأسه منخفض وهو يضع يديه في جيبي سترته وشعره الأسود يرفرف مع الهواء.

بين الحين والآخر، كانت ألكس تهرول عائدة إلى الوراء وقد علا خديها اللون الوردي وتألقت عيناها ببريق السعادة خلف نظارتيها.

ـ ليتنا نقوم بنزهة كهذه في نهاية كل أسبوع!

ـ لكنك لم ترغبي بالنزهات سيراً على القدمين من قبل.

ـ يصبح الأمر مختلفاً حين يكون لديك كلب.

ثم وجهت ألكس كلامها إلى كايت فقالت بحرارة: «أنا سعيدة لأنك تعملين لدى أبي. ألست سعيداً أنت أيضاً أبي»؟

نظر فين إلى كايت التي كانت تحاول، دون جدوى، رفع شعرها عن وجهها إلى الوراء، فيما تتألق عيناها البنيتان ببريق حاد وقد علا الاحمرار خديها بعد الجهد الذي بذلته مع ألكس وديريك. ثم قال: «من المؤكد أنها غيّرت حياتي».

وابتسمت كايت غير واثقة مما يعنيه بقوله هذا. هل تغيير حياته أمر جيد أم سيء؟ أم أنه يمزح فقط؟ وفي النهاية قررت أن تتجاهل الأمر إذ بدا لها ذلك أكثر أماناً، وسألته عن مدبرة منزله: «هل ستعود روزا قريباً؟».

ـ لا نعرف. إنها على اتصال دائم بنا ومن الواضح أنها قلقة من أن تفقد عملها لدينا، لكن أمها ما زالت مريضة جداً وهي لا تعرف متى يمكنها أن تتركها. وفي هذا الوقت، أنا وألكس نتدبر أمورنا بأفضل ما نستطيع.

فعلّقت ألكس: «بل بشكل رائع. الأمور أفضل بكثير من دون مدبرة منزل».

ـ لن يمكنك قول ذلك حين تأتي عمتك ستيلا. ستصاب بالذعر لأن لا أحد لا يقوم برعايتك والعناية بك.

قالت ألكس بصدق وهي تشبك يدها بيده: «أنت تقوم بذلك»

ورأت كايت ابتسامة ملتوية تعلو ثغر فين: «ستقول لي ستيلا إن وجودي قربك لا يكفي، وهي على حق».

فسألت كايت: «من هي ستيلا؟».

ـ إنها شقيقة أبي، وهي متسلطة!

قال فين بنبرة أكثر اعتدالاً: «تعيش شقيقتي في كندا لكنها تأتي كل سنة لتزورنا وتتفقد أحوالنا، أنا وألكس».

تردّد قليلاً، ثم تابع يقول: «إنها ذات قلب كبير، لكنها أحياناً تميل إلى ... السيطرة».

ـ بل هي متسلطة!

صحّح لها فين قائلاً: «معتدّة قليلاً برأيها»

ثم استدار نحو كايت متجاهلاً إصرار ألكس التي غمغمت من بين أسنانها: «متسلطة!».

تابع فين يقول: «منذ سنتين قررت ستيلا أن ألكس تحتاج إلى أم بديلة، ومنذ ذلك الحين وهي تحاول إيجاد نساء مناسبات كي ألتقي بهن»

علّقت ألكس: «وكلّهن شنيعات أيضاً. أليس كذلك أبي؟».

ـ لنقل إن فكرة ستيلا عن نوع الأم البديلة التي تحتاجها ألكس تختلف عن فكرتنا نحن. إنها شديدة التعلّق بي وأنا أعلم أن نواياها حسنة، لكنني أتمنى لو أنها تتركني لأنظم حياتي على طريقتي.

شعرت كايت بالحيرة وقالت معترفة: «لا يمكنني أن أتخيّل أنك تخضع لسيطرة أي كان».

ـ أنت لا تعرفين شقيقتي! ما يدعو للأسف، أنني وألكس بتنا نشعر بالرهبة لزيارتها لنا.

راحت ألكس تقفز إلى جانبهما ثم قالت: «أتعلم ما علينا أن نفعل أبي؟».

ـ ماذا؟

ـ علينا أن ندّعي بأن لديك صديقة، وهكذا لن تتمكن العمة ستيلا من قول أي شيء.

قال فين وهو يلوي شفتيه: «لا أظن أن من السهل خداع ستيلا، فهي ستصرّ على التعرف على تلك الصديقة».

فاقترحت ألكس: «ربما يمكننا أن نطلب من كايت أن تتظاهر بذلك»

ـ تتظاهر بماذا؟

راحت ألكس تقفز جذلاً وهي ترى أهمية فكرتها وقالت: «تتظاهر بأنها صديقتك. يمكنكما التظاهر بأنكما سوف تتزوجان وهذا سوف يجعل عمتي ستيلا تكف عن إزعاجنا».

ساد صمت ثقيل لعدة لحظات، وثم قال فين: «لا أظنها فكرة جيدة»

ـ لِمَ لا؟ كايت لن تمانع. هل تمانعين كايت؟

غمغمت كايت بصوت غير مفهوم إذ بدا لها أن هذا خيارها الوحيد.

وأكملت ألكس تقول: «كم سيكون ذلك مسلياً! تصوّر ما سيحصل عندما تأتي عمتي ستيلا وتبدأ، كعادتها، بإقناعك بأن عليك أن تتزوج، ثم تقول لها إنك وجدت صديقة مناسبة دون تدخلها. سيبدو ذلك رائعاً!»

قال والدها بحدّة: «كفى ألكس».

لكنها أصرّت: «لِمَ لا؟».

ـ قلت لك كفى!

انكفأت ألكس وهي تغمغم خائبة الأمل، قبل أن تبدأ برمي العيدان لديريك للتنفيس عن غضبها. أما فين فقال لكايت: «أنا آسف، لقد تمادت ألكس قليلاً».

ـ لا بأس.

ومن جديد حلّ بينهما صمت مريك إلى أن سأله كايت: «هل شقيقتك سيئة إلى هذا الحد؟».

تنهد فين قائلاً: «بل أسوأ، أعلم أنها قلقة بشأن الكس، لكنها ذات طبع... لجوج».

- ألا يمكنك أن تقول لها بكل بساطة إنك وألكس سعيدان هكذا؟

- صدقيني، لقد حاولت ذلك مراراً. المشكلة هي أنني أدين لها بالكثير، فهي التي اهتمت بشؤوننا كافة عندما توفيت إيزابيل. لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونها. لحسن الحظ أنها كانت موجودة حينها، فهي تقيم مع أسرتها في كندا، لكنها جاءت خصيصاً لتهتم بألكس، وبي أيضاً. لقد أخبرتها أنني أوافقها الرأي وأنني أفكر بالزواج ثانية. لكن ستيلا تعتقد أنني لن أفعل ذلك من تلقاء نفسي لذا فهي لا تتوقف عن البحث عن المطلقات وتقديمي إليهن. وفي الحقيقة، من الصعب أن أبحث بنفسي عن المرأة المناسبة ما دامت ألكس ترفض الفكرة، وهكذا تجدين أن ستيلا على حق.

٦ - طلب غريب

قالت كايت: «إن اهتمام الآخرين بك قد يسبب لك الإزعاج أحياناً»

كانت تسير إلى جانبه في ممرات الحديقة، وهي تضع يديها في جيبيها لتمنعهما من احتضان فين لمواساته.

- عندما كنت أخرج مع ساب، لم تكن بيلا وفوبي تكفان عن القول إنه لا يصلح لي. في أعماقي كنت أعلم أنهما على حق، لكن ذلك لم يغيّر من الأمر شيئاً. لم أكن أستطيع مجادلتهما لأنني أعرف أنهما تحبانني وتهتمان لسعادتي، لكنني كنت أحياناً أتمنى لو أنهما تصمتان وتتركانني وشأني.

تباطأت خطواتهما دون أن يشعرا، ثم توقف فين وأخفض بصره لينظر إليها وعيناه الرماديتان تلتمعان بنظرة غريبة. وأخيراً قال: «نعم، هذا ما أشعر به تماماً مع ستيلا».

راحت الغيوم تتجمع في السماء، وما هي إلا لحظات حتى حجبت وجه الشمس فغدت السماء كلوحة ضبابية. أحسّت كايت كما لو أنهما معزولان عن كل من في الحديقة. كانت تسمع بوضوح ضربات قلبها واندفاع الدم عبر شرايينها، فيما تشع عينا فين الرماديتان ببريق فضي غريب.

وما هي إلا لحظات حتى عادت الشمس إلى الظهور من خلف الغيوم، وكأن أحدهم قد أضاء النور من جديد، وعادت ألكس راكضة باتجاههما وهي تنادي ديريك. عندئذٍ التفت فين بعيداً عنها، وشعرت كايت بالتشوش والارتجاف وكأن قلبها عالق في حنجرتها، كما شعرت بانقباض في صدرها ما جعلها تتنفس بصعوبة. تنحنح فين وبذل جهداً واضحاً كي ينظر

www.elromancia.com

إلى ساعته، ثم قال: «ربما يجدر بنا أن نعود الآن».

وفي طريق العودة، شعرت كايت بالسرور لأن ألكس لم تكف عن الثرثرة. فقد كانت غارقة في أحاسيس غريبة وتشعر بالارتجاف في أعماقها بشكل مريك. جعلتها أحاسيسها هذه متنبهة لكل حركة من حركات فين.

إنها بحاجة إلى التماسك والسيطرة على نفسها! فمن يراها يظن أنه كان يبثها أعمق مشاعر الحب والإلهام!

وجد فين مكاناً ليوقف السيارة بالقرب من منزلها، وما إن أطفأ المحرك حتى سمعت نفسها تقول: «هل تودان النزول لتناول الشاي؟».

اخترق صوتها الصمت بطريقة مضحكة إذ بدا حاداً ومرتفعاً، وكأنها تشعر بالتوتر أو ما شابه: «لقد صنعت بعض الكعك المحلى».

قالت ألكس بإستحسان: «أنا أحب ذلك! هل يمكن لديريك أن يأتي أيضاً؟».

- بالتأكيد.

في الواقع، قوبل ديريك باستقبال بارد جداً من قبل هرّ كايت، فقد كان هذا الأخير متكوراً بارتياح على الأريكة حين وصل ديريك وراح يلكزه بأنفه الرطب البارد فيما راح ذيله يلوح بتردد. وما لبث الهر أن نفش وبره وراح يهسهس مهدداً مبرزاً مخالبه استعداداً للقتال، ما جعل ديريك يتراجع وهو يهمهم احتجاجاً. وسألت ألكس: «ما اسمه؟».

- نحن نسمّيه هرّ فقط. لقد كان تائهاً مثل ديريك، لكنه بدا هراً بارياً حين أحضرته إلى المنزل. كان يخدشنا ويعض أقدامنا، ولم تسمح لي فوبي بأن أمنحه اسماً خشية أن أتعلق به وأرغب بالاحتفاظ به، لكنني حتى الآن لم أستطع إيجاد منزل له. وهكذا ما زلنا نناديه هرّ.

قالت بيلا فيما كانت تجلس على أحد الكراسي وهي تضع طلاء أظافر: «لن يرغب بالذهاب إلى أي مكان».

ثم تابعت تقول: «مهما قلت عن هذا الهر، فهو ليس غبياً وهو يعلم أنه

لن يجد من يعتني به مثل كايت أينما ذهب».

وابتسمت لفين وألكس لتكمل: «أنا واثقة أن كل الحيوانات الشاردة في لندن تعرف أنها إنسانة رقيقة القلب، فنحن دوماً نجد أمام الباب حيوانات بحالة بائسة وتحتاج إلى المساعدة».

رمقت كايت صديقتها بنظرة ذات معنى: «بيلا، أنا واثقة أنهما لا يرغبان بسماع مثل هذه القصص».

لكن لا شيء يستطيع إيقاف بيلا حيث تبدأ بالكلام. ثم إن ألكس قالت: «بل نرغب بسماعها».

انهمكت كايت بتحضير الشاي والكعك المحلى وهي تشعر بالارتباك بعد أن لاحظت أن عيني فين ترمقانها بين الفينة والأخرى. أتراه يتساءل كيف يمكن لوكالة التوظيف أن تقبل بامرأة بلهاء مثلها؟

بعد قليل عادت تحمل الصينية إلى حيث يجلس الجميع بارتياح ثم قالت: «آمل أن تكون قد لاحظت أن معظم تلك القصص هو من نسج خيال بيلا».

فاحتجت بيلا: «هذا غير صحيح!».

لكن يبدو أن بيلا سرّت بالكعك المحلّى فقالت: «يمكنني أن أخبرهما آلاف القصص عن براعتك في الطهو».

فقال فين: «لقد سبق لنا وعرفنا ذلك».

راحت بيلا تنقل نظرها بين فين وكايت، وبدأت العينان الزرقاوان بالتأمل. عندئذٍ أدركت كايت أن صديقتها قررت أن تطلق العنان لحسّها التحليلي حول شخصية فين وأملت أن يكون هذا الأخير مستعداً لذلك.

وقف فين وألكس كي يغادرا، فقالت ألكس: «ما أجمل مطبخكما! ليت مطبخنا يشبهه، أليس كذلك يا أبي؟».

راقبت كايت فين وهو يجول ببصره على الفوضى السائدة في المطبخ.. الزجاجات الفارغة التي تنتظر وضعها في القمامة.. المجلات المبعثرة في

كل مكان. . طلاء الأظافر الذي تتركه بيلا هناك باستمرار، الثياب الداخلية النسائية الموضوعة على منشر الغسيل بطريقة عشوائية. . فبادرت تقول لألكس بوقار: «إن نشر مثل هذه الفوضى في غرفة يتطلب الكثير من الجهد، لكنني أظن أن والدك يمكنه تدبر الأمر».

فضحك فين وشعرت هي كأن دوّاراً أصابها. وتراقص قلبها داخل صدرها ما إن ظهرت أسنانه البيضاء والغمازتين العميقتين في خديه والمرح الظاهر في عينيه.

كانت بيلا تلتهم آخر كعكة عندما عادت كايت، وذلك بعد أن رافقتهما إلى السيارة. تبخّر كل الابتهاج الذي شعرت به من قبل بعد أن ودّعها فين. لقد عانقت ألكس ودغدغت ديريك، أما هو فقد ابتعد بخطوات ثابتة كأنه يقول إن كل شيء قد عاد إلى ما كان عليه من قبل، وكل ما قاله لها: «أراك غداً».

حسناً، ما الذي تتوقعه غير ذلك؟ هل تتوقع منه أن يفتح ذراعيه ليضمها إلى صدره أم يودعها بعناق حميم؟.

ردّدت كايت دون حماسة: «نعم، أراك غداً».

غمغمت بيلا وفمها ممتلىء بالكعك المحلى: «ألا يبدو منطوياً على ذاته؟».

لم تستطع كايت التظاهر بأنها لم تعرف ما الذي تقصده بيلا بكلامها. راحت تجمع آنية الشاي وقد بدا عليها الحزن: «إنه. . . متحفظ قليلاً».

ـ إنه كذلك فعلاً، لم أرَ في حياتي شخصاً يصعب سبر أغواره مثله.

شعرت كايت بقرصة من خيبة الأمل. . . بل بأكثر من قرصة أذا أرادت أن تكون صادقة مع نفسها، إنها بالأحرى غصّة أو طعنة سكين أصابت أحشاءها. أزعجها ألاّ تتمكن صديقتها من سبر أغوار فين، فبيلا ذات نظرة صائبة في معرفة الأشخاص وهي أكثر خبرة منها في ذلك. أرادت أن تسمع منها أن فين كان طيلة الوقت يلاحقها هي بنظراته. . وهي واثقة أن بيلا

كانت لتدرك ذلك لو أن هناك أي إشارة أو لمحة من الحب تجاهها. لكن. . . لا شيء من هذا القبيل.

هزت كتفيها بترفع وقالت: «ذلك لا يزعجني على الإطلاق. فهو ليس سوى رئيسي المؤقت، ولا يهمني معرفة تفاصيل حياته الشخصية كلها».

لكن المشكلة هي أن بيلا تعرفها أكثر مما تعرف أي شخص آخر، فقالت: «طبعاً!»

ثم وضعت ذراعها حول كتفي كايت ونصحتها قائلة: «لا تهتمي للأمر، فهناك دائماً من هم أفضل منه بكثير».

صباح يوم الثلاثاء رن جرس الهاتف في المكتب، فأجابت كايت: «هنا مكتب فين ماكبرايد».

سمعت صوتاً يقول بنبرة باردة: «أنا أليسون مساعدة فين الشخصية».

ـ أهلاً. . . كيف أصبحت قدمك؟

ـ أفضل بكثير، شكراً لك. هل تسير الأمور بشكل جيد؟

لاحظت كايت في صوتها نبرة تنبىء بالشعور بالتفوق ما جعلها تجفل. فحاولت أن تجيبها بالنبرة الباردة نفسها: «أجل، على ما أظن. هل تودين التحدث إلى فين؟».

ـ نعم.

خرج فين من مكتبه بعد دقائق قليلة وقال: «كانت هذه أليسون».

لم يكن هناك داع ليخبرها بذلك، لا بد أن مكالمة أليسون قد ذكرته كم هي بارعة وجديرة بأن يعتمد عليها، على العكس من مساعدته المؤقتة.

ـ قال لها الطبيب إن بإمكانها العودة إلى العمل يوم الإثنين المقبل.

ـ الإثنين المقبل؟

لم تستطع كايت إخفاء نبرة الفزع من صوتها، فهي تتوقع الاستمرار في العمل لأسبوعين على الأقل. تنحنح فين: «لقد قلت لها إن لا داعي لأن تعود قبل أن تشفى قدمها، لكنها قالت إنها متلهفة إلى العودة».

ـ طبعاً.

وماذا يمكنها أن تقول غير ذلك؟

ـ سيعود النظام إلى هذا المكتب من جديد.

وألقت نظرة سريعة على ديريك الذي كان يهرول حول فين ثم اقترب من قدميها وراح يثب بحماسة، ثم تابعت: «ولا مزيد من الكلاب الشاردة بالتأكيد».

ـ كلا.

وبعد لحظات من الصمت المؤلم، نظرت دون حماسة إلى أكوام الأوراق والملفات الموضوعة على مكتبها وقالت: «من الأفضل أن أرتب مكتبي».

أجبرت نفسها على الابتسام بإشراق: «هل يمكنني استخدام الهاتف لأتصل بالوكالة وأعلمهم بما حصل؟».

كان فين يقف قبالة النافذة، ينظر إلى الشارع وهو يضع يديه في جيبه، فسألها: «أي وكالة؟».

ـ وكالة التوظيف المختصة بالوظائف المؤقتة، قد يتمكنون من إيجاد وظيفة لي بدءاً من يوم الاثنين.

استدار نحوها قائلاً: «آه، حسناً. نعم».

نظر إلى كايت ثم عاد بنظراته إلى البعيد، كأنه يريد أن يقول شيئاً لكنه فضّل أن يفكر به أكثر. وما لبث أن قال: «نعم، من الأفضل أن تفعلي».

هكذا إذن؟ حسناً فعلت أنها لم تتورط في علاقة معه. هذا ما فكرت به كايت وهي تجلس في الباص مساءً شاعرة بالتعاسة. لطالما علمت أنه لا يجدر بها الوقوع في حب فين، فهي لا تريد أن تمضي حياتها وهي تشعر أنها ليست سوى البديل الأفضل عن حبيبته الجميلة المكتملة الصفات إيزابيل. هذا ما قررته بعد أن خرجت مساء الأحد الفائت برفقة بيلا لتمضيا سهرة ممتعة مليئة بالمرح علّها تنسى أمر فين. لكن الأمر بدا أكثر سهولة في أجواء

السهرة الصاخبة مما هو عليه الآن.

الأيام الثلاثة التالية كانت مليئة بالألم. بدا فين خلالها قليل الكلام، كما بدت كل محادثة بينهما رسمية إلى أبعد الحدود. وأخيراً، جاء يوم الجمعة.

عندما استدعاها فين إلى مكتبه، حضرت نفسها لسماع كلام يتعلق بمغادرتها وقررت سلفاً أن تبدو بمظهر مهني متفهم. إذ عليهما على الأقل أن يتفقا ماذا سيفعلان بديريك الذي أصبح جزءاً مألوفاً من روتين المكتب، فكايت تتعثر به ست مرات على الأقل في اليوم الواحد.

لم تصدق أذنيها حين طلب منها فين أن ترتب بعض الأمور قبل مجيء أليسون، إذ قال: «فلنحاول أن نجعل الأمور مرتبة وواضحة بقدر الإمكان من أجلها».

طبعاً! فهما لن يدعا أليسون الغالية على قلبه تعمل كثيراً حين تعود. شعرت كايت بالغضب. حسناً، قد لا تكون هي أليسون الخارقة، لكنها عملت هنا ستة أسابيع، وقد عملت بجهد حقاً. لا يضيره في شيء أن يسمعها كلمة شكر على الأقل!

وقفت على قدميها وسألته ببرودة: «هل هذا كل شيء؟».

قال بتردّد: «بقي هناك أمر واحد».

واستقرت عيناه عليها هي تضم دفتر الملاحظات إلى صدرها وقد بدت مستاءة ومتكدرة، ثم أضاف: «اجلسي».

عادت كايت لتجلس من جديد على حافة المقعد، ثم فتحت دفتر ملاحظاتها وهي تتنهد باستياء، ونظرت إلى فين وقد حملت قلمها في يدها ثم قالت تحثه: «ماذا؟».

ـ أردت فقط أن أسألك إذا كنت قد حصلت على وظيفة ليوم الإثنين.

أخفضت القلم في يدها وقالت: «ليس بعد».

سألها فين بحذر: «ما رأيك بتغيير مهنتك؟».

حدقت فيه قائلة: «ماذا؟».

ـ حين كنا مدعوين إلى العشاء لدى جيب وفوبي ذكرت أنك تفكرين بتغيير مهنتك. وأنا أتساءل إن كنت جادة في ذلك أم لا.

ـ أظن أن الأمر يتعلق بنوع المهنة التي يمكنني أن أتخذها بدلاً من هذه. هل تفكر بشيء معين؟

ـ مدبرة منزل.

ضحكت كايت: «أنت لست جاداً!».

ـ ولِمَ لا أكون كذلك؟

قالت وهي ما تزال تبتسم: «أنت تعلم كم أنا فوضوية. لقد رأيت حالة مطبخنا يوم الأحد الفائت. كنت أعتقد أنني آخر شخص يمكن أن تفكر فيه كمدبرة منزل».

ـ الترتيب ليس أهم شيء. المسألة هي أن ألكس أحبتك...

توقف فجأة عن الكلام وراح يتمشى في الغرفة، ثم تابع يقول: «قلة هم الأشخاص الذين استطاعت أن تحبهم. ما أحتاجه في الحقيقة هو شخص يمكنه إحضارها من المدرسة والاهتمام بها إلى حين عودتي إلى المنزل. كما أنك تجيدين الطهو وهذه ميزة إضافية».

ـ وماذا عن روزا؟

ـ لقد اتصلت الليلة الماضية. يبدو أن أمها بحاجة إلى عناية دائمة في الفترة القادمة. قلت لها إنني سأتخذ تدبيراً مؤقتاً، وهكذا ستحتفظ بوظيفتها إذا ما عادت خلال شهرين، لكنني لا أظنها ستتمكن من ذلك.

ـ إذن أنت لا تفكر بوظيفة دائمة؟

هز فين رأسه: «كلا، فألكس ليست متحمسة لفكرة وجود شخص ثالث معنا في المنزل، وسوف أرى إن كان بإمكاننا أن نتدبر أمورنا من دون مدبرة منزل... مع أن ذلك سيكون أكثر صعوبة بوجود ديريك».

سألته كايت: «لِمَ تطلب مني أن أعمل كمدبرة منزل إذن؟».

توقف عن السير ووضع يديه في جيبيه قائلاً: «لأن شقيقتي ستزورنا بعد أسبوعين».

آه، نعم. تذكرت كايت شقيقته المخيفة ستيلا. وتابع فين يقول: «نريدك أن تبقي معنا خلال فترة إقامتها هنا فقط، ونحن لا نتكلم عن وظيفة دائمة. فإذا لم يكن لديك مخطط آخر فكري بالأمر. بالتأكيد، سوف أدفع لك أجراً أفضل من الذي تأخذينه هنا».

راحت كايت تخربش دون وعي على دفتر ملاحظاتها. إنها ليست متمسكة بمهنتها هذه، لقد عملت في مجال السكرتاريا لأنها، ببساطة، لم تستطع أن تفكر بمهنة أخرى. بخلاف بيلا وفوبي المتمسكتان بجدية بمهنتيهما، ظلت كايت محتفظة بحلم طفولتها بأن تعيش في كوخ في الريف حيث تستطيع أن تصنع المربيات والحلوى، وتزرع الورود في الحديقة، بالإضافة إلى اقتناء عدد كبير من الحيوانات وإنجاب عدد كبير من الأولاد...

بللت شفتيها وتكلمت بنبرة مهنية بحتة: «هل تشمل الوظيفة المنامة أيضاً».

ـ أفضّل ذلك.

ـ يجب أن أتفق مع بيلا بشأن الشقة.

ـ سوف أتكفل بدفع إيجار الشقة الخاصة بك وهكذا تضمنين العودة إليها إن أردت.

فاجأها اقتراحه فنظرت إليه بدهشة، ثم قالت بصراحة: «إيجار الشقة لم يعد مشكلة بعد أن تزوجت فوبي من جيب! أنا وبيلا ندفع الآن إيجارا رمزياً فقط مقابل اهتمامنا بالشقة. لكنني كنت أفكر بالهرّ».

بدا فين وكأنه لا يصدق أذنيه فردّد قائلاً: «الهرّ؟».

ـ سأطلب من بيلا أن تهتم به لأجلي، لكنه عضّ قدميها وخدشها مرات عديدة ولا أظنها ستتحمّس للفكرة! إلاّ.. إذا كنت أستطيع اصطحابه معي.

قالت جملتها الأخيرة آملة أن يسمح لها فين بذلك لكن أملها خاب فوراً، إذ قال بصراحة: «كلا! تكفي المتاعب التي يسببها الكلب. وأنا واثق أن بيلا ستعتني بالهر في غيابك، فالأمر لن يدوم طويلاً. ستيلا تمضي عادة أسبوعين معنا ثم تقوم بجولة في البلاد لتزور أصدقاءها القدامى، وتستغرق جولتها عشرة أيام تعود بعدها إلى منزلنا لأيام قليلة قبل أن تسافر عائدة إلى كندا، لذا لا أتوقع أن نحتاج إليك لأكثر من شهر».

حسناً، هذا ينبئها بالكثير! لحسن الحظ أنها لم تفعل شيئاً سخيفاً كالوقوع في حبه.. بعد أن فكرت ملياً بالأمر قالت فجأة: «حسناً أنا موافقة».

بدا فين مندهشاً أكثر منها حين قال: «سوف تقبلين بالوظيفة؟».

ـ نعم.

عليها أن تناقش أمر الهر مع بيلا، ولا شك أنها ستثور غضباً لكنها ستذعن في النهاية. سوف توضح لها أنها ذاهبة إلى منزل فين بصفتها مدبرة منزل لا أكثر.

ـ متى تريدني أن أبدأ العمل؟

قال بنبرة رسمية: «ربما يمكننا أن نناقش التفاصيل على العشاء. هل نتعشى معاً هذا المساء؟».

ـ حسناً، نعم.

بدا الارتياك على فين ثم قال: «حسناً، أيمكنك أن تحجزي لنا طاولة في أحد المطاعم؟».

أن تحجز بنفسها طاولة في المطعم ليس من الرومنسية في شيء! ربما يجدر بها أن تطلب إرسال بيتزا إلى المكتب فذلك يناسب جو العمل. حاولت ألاّ تظهر ارتباكها وسألته: «هل هناك مطعم محدد تود الذهاب إليه؟».

استدار مبتعداً عنها وتوجه نحو النافذة، ثم قال بلا مبالاة: «سأترك

الخيار لك».

وقفت كايت من جديد فيما ظل فين يراقب انهمار المطر من خلال النافذة. بدا لها أن المقابلة قد انتهت، وما إن وصلت إلى الباب حتى سمعته يقول: «اختاري مكاناً جيداً، فأنا أود أن أطلب منك شيئاً».

* * *

ـ يود أن يطلب منك شيئاً؟

كررّت بيلا هذا القول عندما أخبرتها كايت عن محادثتهما في ذلك المساء. وتابعت تقول: «ألم يقل ما هو؟».

ـ أظن أن الأمر يتعلق بعملي كمدبرة منزل.

رفعت بيلا حاجبيها مظهرة عدم التصديق وقالت: «هيا، كايت! لا أصدق أن الرجل يدعو فتاة مثلك إلى العشاء ليناقش معها كم من الوقت ستمضي وهي تنظف المنزل!».

توقفت قليلاً عن الكلام ثم تابعت: «لا بد أنه يشعر بالانجذاب نحوك».

ـ لا أعتقد ذلك.

لم تشأ كايت أن تعترف لصديقتها أنها فكرت هي أيضاً بهذا الاحتمال، ولم تستطع أن تتخيل أن فين يشعر بشيء نحوها. فقالت: «لو أن الأمر كذلك لوجد مئات الفرص ليقترب مني دونما حاجة إلى إنفاق المال على دعوة عشاء».

ـ لكنك حتى الآن، كنت تعملين معه. وربما شعر بانجذاب نحوك خلال الأسابيع الماضية إلا أنه من النوع الذي لا يحبذ إقامة علاقات مع موظفيه. أما الآن، أنت ما عدت موظفة لديه، وهكذا وجد أن الفرصة باتت سانحة ليبدأ بالتقرب منك.

سخرت كايت من صديقتها لهذه الفكرة السخيفة. لكن ذلك لم يمنع معدتها من التقلص من شدة التوتر فيما هي تجهز نفسها للخروج ذلك

المساء. كانت قد حجزت طاولة في مطعم إيطالي قريب وهي تفكر أنها لا ترغب حقاً بتناول أي طعام.

قالت لها بيلا وهي تنزل السلالم: «تبدين رائعة! لا تشبهين مدبرة المنزل على الإطلاق».

وكادت كايت تفقد أعصابها، هل يبدو ثوبها غير ملائم إلى هذا الحد؟

ـ أتظنين أن عليّ تغيير هذا الفستان؟

ـ تغييره؟ وماذا عليك أن ترتدي برأيك! فستاناً رمادياً ذا قبة بيضاء مع مجموعة من المفاتيح تتدلى عند خصرك؟ لا حاجة بك إلى ذلك أبداً، فأنت تبدين رائعة، وأراهن أن فين لن يتمكن من إبعاد يديه عنك.

وفكرت كايت كم أن بيلا مخطئة في هذه النقطة بالذات، إذ بدا أن فين لا يجد أي صعوبة في إبقاء يديه بعيدتين عنها فيما هما يجاهدان لإجراء محادثة رسمية أثناء توجههما إلى المطعم. من المؤكد أنه لاحظ التغيير في طراز ثيابها وبدا أنه فوجىء به، لكن كل ما قاله بهذا الشأن هو أنها تبدو «مختلفة». من جهة أخرى، بدا أنه لم يعجب بالمطعم الذي اختارته، لكنها فكرت أنه هو الملام في ذلك إذ كان عليه أن يتولى أمر الحجز بنفسه.

ـ هل هذا هو المكان الذي اخترته؟

أجابته كايت بنبرة لا تخلو من التحدي: «فكرت أن هذا الموعد لا يستحق أكثر من ذلك».

رمقها فين بنظرة ذات مغزى وهو يرفع حاجبه، فكادت تفقد رباطة جأشها. وسارعت إلى القول: «أعني، إنه ليس موعداً بالمعنى الحقيقي للكلمة»

لكن لسوء الحظ، لم يفطن النادلون لهذه الملاحظة وظلوا يروحون ويجيئون حولهما وقاموا بإرشادهما إلى طاولة منعزلة وهم يكيلون الإطراءات لكايت، ويبدو أن رئيس النادلين أعتقد أن بينهما قصة رومنسية فقال لفين: «صديقتك جميلة جداً، أليسّ كذلك؟».

نظر إليها فين عبر الطاولة، فإذا بها تنكمش على نفسها وتغرق في مقعدها أكثر فأكثر حتى أن استرخاء تعابير وجهه الصلبة إلى ما يشبه الابتسامة لم يجعلها تشعر بالارتياح وسمعته يقول: «نعم، والآن، هل لنا بلائحة الطعام من فضلك؟».

شعرت كايت بالنيران تغزو خديها. وعدما ابتعد النادل عنهما مبتسماً، قالت: «أنا آسفة، إنه لا يتصرفون بهذا الشكل عادة».

قال فين «ربما لأنك عادة لا تبدين بهذا الجمال».

فتحت كايت فمها ثم عادت وأغلقته ثانية. وقبل أن تتمكن من التفكير بما ستقوله اقترب نادلان من طاولتهما حاملين معهما لائحة الطعام، شعرت بالضجيج يملأ أذنيها وراح قلبها يتخبط بين ضلوعها. لقد قال فين إنها تبدو جميلة!

استرقت نظرة إلى وجهه، فإذا به قد أحنى رأسه وراح يحدق في قائمة الطعام، ولم تكن تعابير وجهه تنم عن أي شيء. بدا حاجباه البنيان الكثيفان معقودين معاً، أما عيناه فمحجوبتان خلف أجفانه، وكل ما تمكنت كايت من رؤيته هو أنفه القوي وفمه الذي بدا كخط مستقيم.

شعرت بالاضطراب في أحشائها لرؤيته، فأبعدت نظرها عنه بسرعة. لا بد أنها أخطأت السمع. لا يمكنه أن يقول لها إنها تبدو جميلة، ثم يتصرف وكأن شيئاً لم يكن. أم تراه يستطيع ذلك؟ ربما لم يكن يعني ما يقوله... أو ربما قال ما قاله لإلهاء النادل فقط.

شعرت كايت بيديها ترتجفان وهي تحمل لائحة الطعام. راحت الكلمات تتراقص أمام ناظريها فلم تستطيع التركيز على قراءتها. هل يظن أنها جميلة حقاً؟ أتكون بيلا على صواب في شكوكها؟

أخيراً، طلبا ما يرغبان به من الطعام، وملأ النادل الذي راح يحوم حول طاولتهما كوبيهما بالماء قبل أن يبتعد ويتركهما بمفردهما. وبقدر ما تمنت كايت أن يبتعد النادلون عنهما، عادت تتمنى لو أنهم يعودون أدراجهم.

فعلى الرغم من أنهم بدوا مزعجين، إلاّ أنها تفضّل إزعاجهم على ذلك الصمت الذي ساد بينهما والذي لا يشعر بالارتياح. راحت تعبث بشوكتها... ها نسي أنه يود أن يطلب منها شيئاً ما؟. وعندما لم تعد تطيق الانتظار سألته: «متى تريدني أن أبدأ عملي كمدبرة منزل؟».

كان فين يفتت قطعة من الخبز، لكنه رفع بصره لينظر إليها وكأنه شعر بالارتياح لأنها بدأت تلك المحادثة، ثم قال: «ما إن تتمكني من ذلك. أنا وألكس نرجو أن يتم ذلك في أقرب وقت ممكن. فذلك يمنحك الوقت الكافي لتستقري في المنزل قبل مجيء ستيلا».

ـ أستطيع الانتقال إلى منزلك في نهاية هذا الأسبوع.

ـ حسناً، في هذه الحالة سنأتي لاصطحابك يوم الأحد القادم.

لكنه بدا مشتّت الذهن وكأن فكره مشغول بأمر آخر.

ـ متى ستصل شقيقتك؟

ـ بعد أسبوعين. وعلينا أن نبدي اهتماماً خاصاً لدى استقبالها.

قالت كايت وقد شعرت بالابتهاج للفكرة: «حسناً، أنا بارعة في ذلك تماماً. سوف أحضر لها أشياء مميزة، أزهار في غرفتها، مناشف معطرة، صابون فاخر، وجبات متنوعة... سأقوم بترتيبات عديدة من أجلها!».

رفع فين حاجبيه قليلاً: «يبدو وكأنك قد اعتدت القيام بمثل هذه الأمور من قبل».

ـ نحن معتادون على استقبال العديد من الزّوار في منزل والدي، وأنا أحب ذلك كثيراً.

قال فين وهو يقلب الشوكة بين يديه: «أخشى أنني لا أجيد مثل هذه الأشياء. فأنا لم ألعب دور المضيف منذ توفيت إيزابيل، وستيلا هي الوحيدة التي تأتي لزيارتنا وتقيم معنا في المنزل».

عاد النادلون حاملين معهم المقبلات. وانتظرت كايت إلى أن وضعوا الصحون أمامهما على الطاولة قبل أن تسأله: «أهذا ما كنت تود التحدث

إلي بشأنه؟».

حمل فين وشوكته، لكنه عاد ووضعها مكانها من جديد، ثم قال: «تقريباً، على الأقل... حسناً، كلا ليس هذا بالضبط»

سألته وقد شعرت بالحيرة: «ماذا إذن؟».

رشف رشفة من العصير ثم وضع الكوب على الطاولة بحذر قائلاً: «اتصلت بنا ستيلا منذ أيام وبدت متحمسة لأن تعرفني على امرأة تصلح برأيها لأن تكون أمّاً بديلة لألكس».

توقف عن الكلام ثانية فشجعته كايت: «وماذا بعد؟»

ـ تحدثت إليها ألكس أولاً. فأخبرتها ستيلا أنها تجد تلك المرأة مناسبة لي وأنها تود دعوتها إلى العشاء عندنا عندما تأتي لزيارتنا. ولم يعجب هذا الأمر ألكس بتاتاً، فقالت لستيلا إن لا داعي لتزعج نفسها بإيجاد أم لها بعد اليوم لأنني التقيت بامرأة مناسبة اتفقت معها على الزواج.

ـ يا إلهي!

التوى فم فين بابتسامة مرحة: «هذا ما حصل! وبالطبع، أصرت ستيلا بعدئذٍ على التحدث معي. كان بإماني أن أخبرها أن ألكس تمزح، لكن العلاقة بينهما لم تكن يوماً جيدة، ولم أشأ أن أزيدها تعقيداً».

ثم تنهّد قبل أن يضيف: «خلاصة القول هي أنني دخلت معها في هذه اللعبة. تذكرت ذلك الاقتراح الذي اقترحته ألكس يوم كنا في حديقة ريتشموند وفكرت... حسناً، لم لا؟ ذلك سيبعد ستيلا لبعض الوقت عنا. وراحت ستيلا تطالب بالمزيد من التفاصيل، فأرادت أن تعرف اسم خطيبتي تلك، وكيفّ التقيت بها وما إلى ذلك».

شعرت كايت بإحساس غريب عند فم معدتها، فسألته: «وماذا قلت لها؟».

نظر فين إلى عينيها مباشرة ثم قال: «أخبرتها عنك أنت!».

٧ - بين الحقيقة والحلم

أبعدت كايت نظرها عن فين وراحت تحدّق في صحنها، وقد شعرت بالرعب لإدراكها كم تتمنى لو أنه يعني حقاً ما قاله لشقيقته... إنه يحبها ويرغب بأن يتزوجها. شعرت بإحساس غريب، وكأن الأوكسيجين قد اختفى فجأة من الهواء المحيط، ولزمها بعض الوقت لتستوعب جيداً ما قاله فين.

ـ أردت أن أسألك إن كنت مستعدة للتظاهر بأن ذلك حقيقي بيننا.

التظاهر؟ علقت هذه الكلمة في ذهن كايت.

من المؤكد أن تمنياتها لم تتحول إلى حقيقة بواسطة عصا سحرية، فقد أوضح لها فين أن الأمر كله ليس حقيقياً.

ـ أعلم أن ذلك غير منصف بالنسبة إليك، وأنني أطلب منك الكثير، لكن الأمر يعني الكثير لألكس... ولي أيضاً.

كانت كايت تنظر إليه بذهول دون أن تتفوه بكلمة، فسارع يشرح لها: «بالطبع، سيكون الأمر بمثابة لعبة بريئة، ولا أتوقع منك أن... أن تعتبري المسألة أكثر من مجرد وظيفة».

ـ مجرد وظيفة؟

التقطت كايت تلك الكلمة وكأنها الوحيدة التي تمكنت من فهمها. كان قلبها يخفق بقوة جعلتها عاجزة عن سماع ما يقوله.

ـ أنا لا أطلب منك القيام بهذا الدور مجاناً، بل سأعطيك تعويضاً مناسباً، يمكننا أن نتفق على أجر محدد لك كمدبرة منزل مع علاوة سخية

من أجل... الأمور الأخرى.

قال ذلك بنبرة رسمية، ما جعلها تفهم بوضوح أنه ينظر إلى المسألة كأنها صفقة عمل لا أكثر ولا أقل، وتمكنت كايت من الحفاظ على تماسكها فسألته: «ما الذي تتوقع مني أن أفعله بالتحديد؟».

ـ أن تكوني معنا عندما تأتي ستيلا لزيارتنا، وتحاولي إقناعها بأننا، أنا وأنت...

وتردّد، فأنهت كايت جملته ببراعة: «واقعان في الحب؟».

ـ نعم.

قالت بعد لحظة من الصمت: «لطالما كنت بارعة في التمثيل وتمنيت دوماً أن أحصل على دور رئيسي، لكنني لم أحصل سوى على أدوار قصيرة. ربما يمكنني أن أعتبر هذا الأمر فرصة للعودة إلى التمثيل ولعب دور رئيسي».

كاد فين لا يصدق أنها جادة في ما تقول، فسألها: «أتعنين أنك موافقة على القيام بذلك الدور؟».

تمكنت كايت من السيطرة على نفسها وأجابت: «ولِمَ لا»؟

الأمر الوحيد الذي لا يمكنها القيام به هو أن تدع فين يدرك أنها وقعت في حبه، لأنه سيصاب بالرعب إن علم بذلك، ومن المؤكد أنه لن يطلب منها بعدئذٍ أن تتظاهر بأنها خطيبته. قالت له بنبرة مشرقة: «على أي حال، سيكون ذلك مسلياً أكثر من وظيفة السكرتيرة المؤقتة، كما أن مردوده المادي لا بأس به».

ظهرت في عيني فين نظرة ساخرة وقال: «قد تغيرين رأيك عندما تلتقين بشقيقتي، فهي ذات عينين ثاقبتين وليست غبية على الإطلاق. سوف تراقبنا طيلة الوقت».

وتوقف عن الكلام قليلاً ثم تابع يقول برقة: «إذا أردنا أن نقنعها أننا مخطوبان حقاً، يجب أن نترك لديها انطباعاً بأن علاقتنا حميمة».

ذكرت كايت نفسها بأن عليها أن تأخذ الأمر باستخفاف، فقالت: «تعني أن علينا أن نتبادل العناق من وقت لآخر؟».

شعر فين بالحيرة لموقفها اللامبالي، لكنه قال: «نعم، ما هو شعورك إزاء ذلك؟».

شعورها؟ تخيلت أنه يحملها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره بشدة. . . تصاعدت المشاعر في داخلها حتى كادت تفقد أنفاسها.

ـ أظن أنني أستطيع تدبر أمري.

تعمدت أن تقول ذلك بلا مبالاة، لكن صوتها خانها فبدا خشناً ما جعلها تتنحنح قبل أن تتابع قائلة: «سأعتبر ذلك جزءاً من وظيفتي لا أكثر»

ـ حسناً!

بدت نبرة صوته مليئة بالحذر، وخشيت كايت أن يكون قد أدرك حقيقة مشاعرها نحوه، فقالت مازحة: «سوف أغمض عيني وأفكر بالعلاوة التي سأحصل عليها».

ـ حسناً، أفهم من كلامك أنك لن تأخذي الأمر بجدية.

بدت نبرة صوته حادة بشكل مميز هذه المرة، فنظرت إليه كايت بحيرة. ما الذي قالته يا ترى؟ لقد اعتقدت أنه سيكون مسروراً إذا علم أنها لن تأخذ الأمر عل محمل الجد. تنهدت في سرّها وقد أصبحت ممزقة بين نظراته الساخطة وبين توقها الشديد لأن تخبره أن تعلقها به حقيقي وليس زائفاً. وعوضاً عن ذلك سألته: «ما هو شعور ألكس حيال ذلك؟».

ظهر الاسترخاء على تعابير وجهه المتصلبة: «إنها سعيدة جداً بالفكرة. ، لقد وعدتها بأن أسألك الليلة إن كنت توافقين على لعب الدور ولا شك أنها ستطير من الفرح عندما تعلم أنك وافقت».

ثم رمقها بنظرة سريعة عبر الطاولة وأكمل كلامه قائلاً: «ألكس تواجه صعوبة في إقامة علاقة مع الآخرين، لكنها أحبتك»

ـ وأنا أيضاً أحببتها.

وساد بينهما الصمت للحظات، وكأن سؤالاً بديهياً علق في الهواء بينهما: وأنت، هل تحبني؟

ابتلعت كايت ريقها، فهي لن تطرح عليه هذا السؤال بالطبع. راحت تحدّق إلى صحنها الذي أصبح الآن بارداً بعد أن نسيته تماماً، لكنها لم تكن تشعر بالجوع إذ يبدو أن الحب أفقدها شهيتها، ومع ذلك التقطت شوكتها وراحت تأكل بصمت بعد أن ساد بينهما جو من عدم الارتياح.

بعد مضي فترة سألته بنبرة يائسة: «ماذا أخبرت ستيلا عني؟».

يبدو أن فين أيضاً لم يكن يستمتع بطعامه مثلها تماماً. أجابها: «أخبرتها عن اسمك وبأننا التقينا حين أتيت لتعملي معي. فكرت أن من الأسهل أن نقول ما هو أقرب إلى الحقيقة قدر الإمكان».

ـ أظن أن ستيلا طالبت بمعرفة المزيد. فلو أن أخي أخبرني أنه سيتزوج، لرغبت بمعرفة أدق التفاصيل عن خطيبته.

ظهرت ابتسامة باهتة عند زاوية فمه، وقال معترفاً: «سألتني عن شخصيتك».

ـ وماذا قلت لها؟

نظر إليها فين وقد علا وجهه الغموض، ثم قال: «إنك عطوفة، مسلية، ولطيفة، وإن ألكس تحبك، وهذا صحيح»

ما هو الصحيح؟ أن ألكس تحبها أم أنها عطوفة ومسلية؟

لا ضير في أن تكون عطوفة ولطيفة لكن هذه الصفات لا تدير رؤوس الرجال! أبعدت قطع الفطر بكآبة إلى جانب صحنها وهي تتمنى لو أنه وصفها لستيلا بكلمات أكثر حرارة، كأن يقول إنها جميلة، مرغوبة، لا تقاوم. . هل يعقل أن هذه الكلمات لم تطرأ على ذهنه وهو يفكر فيها؟ لماذا؟ لكنها تعرف السبب، فين لا يظن أنها جميلة أو مرغوبة، كما أنه يقاوم تأثيرها عليه بسهولة، ذلك لأنه. . لا يحبها، عليها أن تتقبل هذا الأمر. وضعت شوكتها من يدها ولم تعد تطيق احتمالاً: «ألم ترغب ستيلا

بأن تعرف ما الذي جعلك تغير رأيك بشأن الزواج؟».

ـ قلت لها إنها سوف تعرف الجواب ما إن تلتقي بك.

والتقت عيونهما من خلال الشموع التي وضعت في وسط الطاولة، بدا وكأن تيار كهربائياً سرى في الهواء بينهما ثم اختفى بسرعة تاركاً قلب كايت يرتجف من التأثر. بللت شفتيها بلسانها ثم سألته: «ماذا كنت ستفعل لو أنني رفضت عرضك؟».

ـ لست متأكداً، لكنني اعتمدت على طيبتك. ثم بإمكاني أن أدعي بأنك تركتني من أجل شخص آخر، وذلك قبل وصولها.

ـ على أي حال، أنا لم أرفض الأمر.

أبعد فين صحنه قائلاً: «لا، علينا أن نفكر بإيجاد سبب معقول لفسخ خطوبتنا بعد ذهاب ستيلا، وإلاّ فإنها سرعان ما تحجز لنفسها تذكرة للعودة لحضور الزفاف. هذا إذا لم تصرّ على إتمام الزفاف أثناء وجودها هنا الآن»

ثم أضاف وقد أساء تفسير إجفال كايت لكلامه: «لن تصل الأمور إلى هذا الحد!».

تمكنت كايت من اظهار ابتسامة واهنة وقالت: «حسناً، نحن لا نرغب بهذا، أليس كذلك؟»

وافقها فين، وجاء صوته خالياً من أي تعبير حين قال: «كلا، لا نرغب به»

* * *

ـ هل أنت واثقة من أنها فكرة جيدة، كايت؟

كانت بيلا وفوبي تجلسان قبالتها إلى الطاولة، وكأنهما تجريان معها مقابلة رسمية، والقلق باد على وجهيهما. قالت كايت بتحدٍ: «الحصول على المال هو دائماً فكرة جيدة، أليس كذلك؟».

ـ هناك طرق أسهل للحصول على المال من التظاهر بأنك واقعة في حب رئيسك!

ـ آه، لست أدري..

لم تشأ كايت أن تخبرهما أن المسألة هي أكثر تعقيداً من ذلك. مع أنها سوف تتظاهر بأنها واقعة في حب فين إلاّ أنها في الواقع لا تدّعي ذلك. وعوضاً عن ذلك قالت: «ذلك أفضل من العمل بصورة مؤقتة في ذلك المكتب الكئيب، كما أن فين سيمنحني علاوة كبيرة ما يجعلني قادرة على تسديد فواتيري كلها، بالإضافة إلى ذلك، أنا أحب ألكس ووجودي في المنزل سوف يحل مشكلة الاهتمام بديريك أيضاً».

قالت بيلا بسخرية: «آه، طالما أن الكلب سيلقى الاهتمام المطلوب، لم تعد هناك مشكلة إذن!»...

ـ اسمعا، كل شيء سيكون على ما يرام. لا أدري لماذا تحوّلان الأمر إلى مشكلة. إنها مجرد وظيفة.

ـ مجرد وظيفة، وأنت ستنامين مع رئيسك؟

ـ ستكون لي غرفتي الخاصة.

نظرت إليها بيلا بارتياب: «لن تصدق شقيقته أنكما مخطوبان إذا لم تظهرا أنكما مغرمان ببعضكما البعض علناً».

قالت كايت بنبرة مدافعة: «سنخبرها أن ذلك لا يبدو ملائماً بسبب وجود ألكس».

تظاهرت بيلا بأنها تهز رأسها بارتباك وقالت: «عفواً، يبدو أنني فقدت إحساسي بالزمن! في أي سنة نحن نعيش؟».

تجاهلتها كايت قائلة: «حسناً، سوف نتظاهر بأننا مغرمان حين تصل شقيقته إلى المنزل».

لاحظت فوبي النبرة الحادة في صوت كايت، فحاولت استرضاءها: «عزيزتي، نحن لا نريدك أن تصابي بالأذى».

قالت كايت بشجاعة: «لن أقوم بشيء أندم عليه لاحقاً».

على أي حال، لقد فات الأوان الآن. على الرغم من أنها لا تنوي

الإعتراف بذلك.

ـ فين ما زال يحب إيزابيل، وأنا أعلم ذلك. كما أننا مختلفان تماماً، فهو أكبر مني سناً، وذو تجربة مختلفة وحياة مختلفة.

هذا كلّه صحيح! ومع ذلك لم يحل بينها وبين الوقوع في حبه.

تمكنت كايت من مواجهة صديقتيها بصلابة، وتعجبت كيف أنهما لم تلاحظا أنها غدت مختلفة عن ذي قبل.

ـ لن أتورط في علاقة معه أو مع ابنته وكلبه.

قالت لهما ذلك وهي تدرك أن هذا ما حصل فعلاً، وأن ليس بإمكانها القيام بشيء حياله. ثم تابعت تقول: «ليس لدي عمل آخر أقوم به، ويبدو لي ذلك أفضل من الجلوس بانتظار أن تجد لي وكالة التوظيف المؤقت وظيفة في مكان ما. وخلال هذا الوقت سوف يدفع لي فين أجراً سخياً كما أنني سأعيش في منزل مريح لعدة أسابيع».

فتحت ألكس الباب وهي تشير باعتزاز إلى الداخل قائلة لكايت: «هذه هي غرفتك، لقد اهتميت بها لأجلك».

نظرت كايت حولها بتأثر وهي ترى إناء مليئاً بالأزهار على المنضدة، فقالت: «إنها تبدو رائعة. هل رتبتها بنفسك؟».

اعترفت ألكس: «أبي رتب السرير وأنا قمت بما تبقى».

نظرت كايت إلى السرير، وتخيلت فين وهو يقوم بترتيبه فشعرت ببعض الاضطراب وتنحنحت قائلة: «هذا لطف منه، لكن كان بإمكاني أن أرتبه بنفسي».

ـ لا أظن أن الأمر أزعجه. والآن، هل تودين رؤية غرفتي؟

أعجبتها غرفة ألكس، وشعرت بالامتنان لأن الغرفة بدت مرتبة بصورة مميزة وكأنها رتبت خصيصاً لمناسبة قدومها، فوق سرير ألكس رأت كايت لوحاً خشبياً كبيراً علقت عليه صور ألكس وأمها وفين. معظم الصور كانت لفين وإيزابيل وهما يبدوان مبتسمين سعيدين، وشعرت بانقباض في صدرها

لأنها لم ترَ فين سعيداً هكذا على الإطلاق، بل إنها لم تره مرة سعيداً أصلاً.

قالت ألكس وهي تتبع نظرات كايت: «هذه صورة أمي. لقد كانت جميلة أليس كذلك؟».

ـ نعم، كانت كذلك. هل تتذكرينها؟

ـ كلا. لكن أبي يحدثني دوماً عنها، وقد احتفظ لي ببعض من أغراضها، انظري.

وسحبت من تحت سريرها صندوقاً ذا غطاء متحرك.

جلست كايت على السرير، وراحت ألكس تناولها الأغراض الموضوعة في الصندوق: أحمر شفاه مستعمل، زجاجة من العطر شبه فارغة، شال من الحرير الناعم، كتاب من الشعر القديم، مفكرة دونت عليها الملاحظات كتبت على عجل، زوج من الحلق، وبصمة قدم لطفل صغير.

وقالت ألكس: «هذه آثار قدمي»

وشعرت كايت باختناق في حنجرتها وهي تفكر كيف إختار فين بعناية تلك الأغراض التي تنقل لها صورة صادقة عن أمها قبل رحيلها. لا بد أن ذلك حطّم فؤاده أكثر فأكثر.

فتحت ألكس علبة مجوهرات صغيرة وقالت وهي تشير إلى أحد الخواتم فيها: «هذا خاتم زواج أمي، يقول أبي إنها تركته لي وبأنني أستطيع أن أضعه في إصبعي عندما أكبر. هذه الحجارة الزرقاء تدعى زفير، وقد اشترى أبي هذا الخاتم لأنه يذكره بعيني أمي».

ـ إنه خاتم جميل!

قالت كايت ذلك وهي على وشك البكاء، إذ كاد قلبها ينفطر على فين. لكنها تمالكت نفسها ولم تشأ أن تبكي أمام ألكس. رفعت رأسها عن الصندوق لتجد أن فين يقف في الباب ويرمقها بنظرة خطيرة. ظلا يتبادلان النظر لفترة طويلة، فيما كانت عينا كايت ممتلئتين بالدموع، وذلك قبل أن

تنتبه ألكس لوجود والدها وتقفز راكضة نحوه وهي تقول: «كنت أري كايت صندوق أغراض أمي».

ـ هذا ما أراه.

بدت ابتسامة فين متوترة، لكنه لم يقل شيئاً سوى إنه أعد الشاي ودعاهما للنزول إلى الطابق السفلي. أحست كايت وكأنما ضبطت وهي تتجسّس على ذكرياته الحميمية.

قال لها وهو يناولها كوب الشاي: «أنا مسرور لأن ألكس تحدثت إليك عن إيزابيل، فهي لم تسمح لأحد قبل الآن برؤية هذا الصندوق. إنها تحتفظ بمشاعرها لنفسها، ومن الصعب أن تتحدث عما يسبب لها القلق لأي كان. على أي حال، لقد غدت أكثر انفتاحاً وتعبيراً عن نفسها مؤخراً».

إثباتاً لقوله، نزلت ألكس إلى المطبخ وهي تقول: «أبي فكرت وأنا أعيد خاتم أمي إلى مكانه، بأن كايت يجب أن تحصل على خاتم طالما أنها خطيبتك. أليس كذلك؟».

فقالت كايت بسرعة: «آه، كلا... كلا، لا داعي لذلك».

ثم رفعت يدها لتريهما الخواتم التي تضعها قائلة: «يمكنني استخدام أحد تلك الخواتم».

أمسك فين يدها كأنه يمسك برزمة، وراح هو وألكس ينعمان النظر إلى خواتمها الهزيلة، فلم يبد الاقتناع على أي منهما. وقال فين وهو ينظر من فوق أنفه: «لا أظن أن أياً من هذه الخواتم يبدو مقنعاً لستيلا».

ثم تابع وهو يشير إلى خاتم تضعه في إصبعها الأوسط: «أعطني هذا».

أحست كايت بأن يدها تحترق حيث لامستها أصابعه، وسألته فيما هي تخلع الخاتم من يدها: «لماذا تريده؟».

ـ أحتاج إلى معرفة قياس إصبعك لأحضر لك خاتماً مناسباً.

ـ لا أعتقد أن ذلك ضروري، حقاً...

إلا أنه قاطعها: «أنت لا تعرفين شقيقتي، سوف تشك بالأمر إذا رأت

أنك تضعين خاتماً رخيص الثمن كهذا... ما بك، ما الذي أصابك؟».

سألها ذلك بحدّة بعد أن رأى التغيير الذي طرأ على تعبير وجهها

ـ هذا الخاتم هو هدية من ساب.

طالما أن فين أدرك على الفور أن الخاتم زهيد الثمن، فقد أنبأها ذلك أخيراً كم كان ساب يستخف بها.

قال فين وقد ظهر العبوس على وجهه: «لا تخافي، سوف أعيده إليك»

ـ لم يعد الأمر هاماً. لا أظن أنني سأضعه ثانية.

ودفعت إلى وجهها بابتسامة مشرقة ثم وقفت على قدميها قائلة: «من الأفضل أن أبدأ بتحضير العشاء».

أظهر فين استعداده لأن يطلب طعاماً جاهزاً، لكن كايت صمّمت على تذكيره بسبب وجودها هنا، فقالت: «يجب أن أعمل لأستحق راتبي».

لم تجد الكثير من مواد الطعام في البراد، لكن كان هناك ما يكفي لتحضير صلصة المعكرونة. كان هذا أمراً عادياً بالنسبة إليها لكن سرور فين وألكس بما أعدته من طعام جعلها تشعر بالرضى.

ـ اعتقد أنكما اعتمدتما بما يكفي على الطعام الجاهز، لكن ذلك سوف يتغير الآن!

عند الثامنة والنصف بدا النعاس على ألكس، فقال فين: «حان وقت النوم أيتها الآنسة الصغيرة. عليك أن تذهبي إلى المدرسة في الصباح».

بعد أن نظفت ألكس أسنانها قبلها فين قبلة المساء، ومع أنها حاولت المماطلة أطول، إلا أنها عادت وخلدت إلى النوم. وأخيراً، وجد فين وكايت نفسيهما وحدهما مع الكلب الصغير.

وكأن بينهما اتفاقاً صامتاً، بقيا جالسين في أمان المطبخ حيث الإنارة القوية، بدلاً من الذهاب إلى غرفة الجلوس والتنعم بجوها الدافئ الحميم. جلست كايت في الجهة المقابلة من الطاولة، ولم يبق أمامها الآن سوى ملء الوقت بالأحاديث المسلية لكسر الصمت حولهما، لكن ذهنها

لم يسعفها بأي موضوع لتتحدث عنه. فكل ما كان يشغل ذهنها هو ذلك الرجل الجالس إلى الجهة الأخرى من الطاولة.

وأخيراً، تكلم فين: «أرجو أن تكون الأمور ملائمة لك».

ورفع بصره نحو كايت لتجمدها نظراته الرمادية الحادة ثم قال: «أعني... بالنسبة إلى وجودك في المنزل».

أجابته كايت بنبرة مشرقة: «بالطبع!».

جال فين ببصره في أنحاء المطبخ كأنه يحاول أن يراه من خلال عينيها، ثم قال: «وظيفة كهذه لا تبدو ممتعة لفتاة مثلك».

ـ هذا يتوقف على فكرتك عني، أي أيّ نوع من الفتيات أنا!

بدا وكأنه يأخذ الأمر بجدية حين قال: «أظن أنك من النوع الذي يحب أن يتمتع بوقته، إذ يبدو أن لديك العديد من الأصدقاء، كما أنك تكثرين من الخروج. وأخشى أن تجدي المكوث في المنزل طيلة اليوم أمراً مملاً».

ـ لكن ذلك أفضل من المكوث في المكتب طيلة النهار، كما أنني حلمت دوماً بأن أهتم بترتيب المنزل...

رأت فين يرفع حاجبيه هازئاً. لكنها تابعت تقول: «أعلم أنني أبدو عديمة الترتيب أحياناً، لكنني أحب الطهو والخياطة والاهتمام بالحديقة... مادام لدي كلب لأصطحبه في نزهة وألكس لأتحدث إليها بعد قدومها من المدرسة... حسناً، أظن أنني سأتمتع بوقتي. في الواقع، لست أدري لما لم أفكر من قبل بوظيفة مدبرة المنزل».

قال فين بحذر: «أنت لست سكرتيرة سيئة كما تعلمين، لكنك تحتاجين إلى تحسين أداءك قليلاً لتحصلي على أفضل من وظيفة مدبرة منزل».

راحت كايت تحرك كوبها بين يديها ثم قالت بصراحة: «أنا لا أرغب بذلك حقاً، المشكلة هي أنني لا أملك الطموح اللازم لذلك».

ـ ماذا؟

ـ في الواقع، طموحي لا يتعدى الحصول على الأمور العادية، مع أن

من المخجل الاعتراف بذلك، إلا أن كلّ ما أريده هو إيجاد شخص مميز، وإنجاب الأطفال، وأن يكون لي منزل أرعى فيه أسرتي. هل هذا كثير؟

قال فين وقد علا الغموض وجهه: «كلا!».

تنهّدت كايت قائلة: «فويي ويبلا تعتبران هذا الأمر مضجراً، لكنني أعلم أنني سأشعر بالسعادة إذا ما تمكنت من تربية بضع دجاجات وصنع المربيات ومشاركة الأولاد في أعيادهم المدرسية... ربما هذا هو السبب الذي جعلني أصاب بخيبة الأمل بعد ما فعله بي ساب. كنت أعتقد أنه ذلك الرجل الذي أنتظره لكي يحقق أحلامي. لقد كنت بلهاء بالتأكيد».

لم تكن تنظر إلى فين بل تحدق إلى كوبها، ثم تابعت تقول: «ساب لم يكن مستعداً للمشاركة في الاحتفالات المدرسية، وهو لا يأبه لمصدر البيض الذي يأكله. شعرت بالسوء عندما اضطررت إلى تقبل ذلك، إذ كان الأمر أشبه بالتخلي عن حلم حياتي».

وقال فين بهدوء: «إن خسارة أحلامنا أمر في منتهى الصعوبة».

وفهمت كايت أنه يفكر في زوجته المتوفاة، فتصلبت حنجرتها: «هل هذا ما شعرت به عند خسارتك إيزابيل؟».

ـ الآن أصبح الأمر أشبه بالحلم. أنا واثق أن حياتنا لم تكن مثالية، لا بد أننا كنا نتجادل أحياناً، لكنني لا أذكر ذلك الآن، كل ما أتذكره هو أن حياتنا معاً كانت سعيدة.

ـ أنت محظوظ لأنك تملك هذه الذكريات...

وتوقفت فجأة ما إن أدركت ما تقوله فقالت معتذرة: «أنا آسفة، تلك ليست لباقة مني، فربما أنت لا تشعر بأنك محظوظ».

ظهرت ابتسامة باهتة على ثغر فين: «أعرف ما الذي تعنينه. ربما أنا محظوظ بشكل ما، فالعديد من الناس لم يتسنّ لهم أن يمضوا أوقاتاً سعيدة كالتي عشتها مع إيزابيل. أحياناً، لا أصدق أنني صادفت حباً رائعاً كهذا يوماً ما. وأخشى ألا أصادف مثله ثانية».

ثم التوى فمه وهو يقول: «هذا ما أفكر به عندما أفتقدها كثيراً، وعندما أتذكر كم كنا سعيدين معاً أدرك أن ذلك لن يحصل مرة أخرى».

ذلك المساء، استلقت كايت في سريرها وهي تحدق إلى السقف المعتم، مفكّرة بالتعابير التي قرأتها في عيني فين. أن يشعر المرء بالحسد تجاه شخص ميت لهوَ إحساس رهيب، لكنها لم تستطع أن تكف عن التفكير بإيزابيل وبحب فين الكبير لها، لقد قال: «هذا لن يحصل لي مرة أخرى»، وعليها أن تتقبل ذلك. اعتصر الألم قلبها وأجبرت عينيها على الإغماض. ما هي مشكلتها؟ لِمَ وقعت في حب رجل لا يستطيع، ولا يرغب بأن يبادلها الحب؟

لقد قدمت لها هذه الوظيفة الفرصة لتكون إلى جانبه فلم تتردد لحظة في قبولها. لكنا الآن تفكر إن كانت هذه فكرة صائبة! كان عليها أن تبتعد عنه طالما هي قادرة على ذلك. لكن فات الأوان الآن، وعليها أن تتقبل الأمر.

إذا لم تستطع أن تجعل فين يشعر بالسعادة من جديد، فهي تستطيع على الأقل أن تجعل حياته مريحة لفترة قصيرة، وإذا كان التظاهر بأنها خطيبته سيجعل حياته أسهل أثناء زيارة شقيقته، فسوف تقوم بهذا الدور بطيبة خاطر.

صباح اليوم التالي، شعرت بالغرابة لأنها ليست في المكتب مع فين، لكنها سبق أن اتخذت قرارها، كما أنها شعرت بالسعادة لقيامها بأعمال المنزل... اصطحبت ألكس إلى المدرسة، أخذت الكلب في نزهة، نظفت المنزل، رتبت الرفوف في المطبخ، قامت بالتسوق ثم أخذت الكلب مرة أخرى في نزهة... ها قد حان موعد إعادة ألكس من المدرسة.

عندما عاد فين إلى المنزل مساءً، كانت هي وألكس في المطبخ، هي منهمكة في إعداد العشاء وألكس جالسة إلى الطاولة تنهي فروضها. انحنى فين ليقبل ابنته، ثم نظر إلى كايت، فانتابها إحساس غريب وتمنت لو أن فين يقترب منها ليعانقها هي أيضاً. لكنها استدارت بسرعة وراحت تهتم

بتحضير الصلصة.

ـ كيف كان نهارك؟

وكشرت مدركة سخافة سؤالها. ما بها؟ لم يبقَ سوى أن تندفع لتحضر له غليونه وخفه.

ـ لا بأس...

وظهرت تقطيبة خفيفة ما بين حاجبيه وكأنه تذكر أمراً لم يكن على ما يرام، وتابع يقول: «مليئاً بالعمل».

ـ كيف حال أليسون؟

ـ لا بأس.

لا بأس... أهذه هي الكلمة الوحيدة على لسانه؟

بدأ فين يفك ربطة عنقه، فسألته مازحة: «لم تفتقدني إذن؟».

ـ بصراحة، بلى.

راح قلبها يتخبط بين ضلوعها، ودون تفكير استدارت لتنظر إليه وهي تحمل الملعقة الخشبية في يدها: «أحقاً؟».

ـ حقاً.

شعرت كأن عينيه تخترقان روحها وتعتصران قلبها حتى كادت تفقد أنفاسها. لقد افتقدها... لم يقل ذلك ليجاملها، لقد افتقدها حقاً! حسناً، قد لا يساوي ذلك جزءاً صغيراً مما يشعر به نحو إيزابيل، لكنه كاف بالنسبة إليها.

ساد بينهما صمت طويل، وما إن رن جرس الهاتف حتى قفزت مجفلة فسقطت الملعقة الخشبية أرضاً. راحت يداها ترتجفان وهي تغسلها تحت الماء. وسمعت ألكس تقول: «مرحباً عمتي ستيلا».

واستمرت الفتاة لدقائق تجيب عن أسئلة عمتها المتعلقة بالمدرسة، إلى أن قالت: «نعم، إنه هنا»

ثم أضافت بعفوية مصطنعة: «إنه يتحدث إلى كايت».

وابتسمت بابتهاج وهي تعطي سماعة الهاتف لفين. أخذ فين السماعة بعد أن استجمع شجاعته، أما كايت فاستمرت بتحريك الصلصة. يبدو أن ستيلا سيطرت على معظم الحديث فيما اقتصر حديثه على ردود مقتضبة، وسمعته يقول: «كلا، لا يمكنك التحدث إليها... لا أريدك أن تربكيها بأسئلتك عبر الهاتف... سوف تلتقين بها عندما تأتين إلى هنا... كلا، نحن لا نخطط لإقامة زفاف خلال وجودك هنا، فلا داعي للعجلة... كايت تقيم معنا الآن ونحن سعداء كما نحن».

أخيراً، هز رأسه وهو يضع السماعة في مكانها قائلاً: «إنها شقيقتي!».

استدار نحو كايت التي استمرت في تحريك الصلصة بتركيز غير اعتيادي، ثم قال: «يبدو أننا أصبحنا متورطين الآن. آمل ألاّ ترغبي بتغيير رأيك».

رفعت كايت غطاء الطنجرة وراحت تحرك ما بداخلها: «كلا، لم أغيّر رأيي».

ـ هذا جيد.

سار باتجاهها حيث كانت تقف بالقرب من الموقد، ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة وهو يقول: «أعطني يدك. لا، ليس هذه اليد بل يدك الأخرى!».

أجبرت كايت نفسها على التماسك بعد الارتعاش الذي أصابها ما إن أمسك بيدها وبسطها ليتمكن من وضع الخاتم في إصبعها.

ـ ما رأيك؟

لو لم تكن كايت تعرفه جيداً لأقسمت أنه انتظر ردّها بتوتر. شعرت بدفء أصابعه على يدها فركزت بصرها على الخاتم. كان خاتماً من الذهب القديم الذي يشع بالدفء يتوسطه حجر من التوباز تحيط به مجموعة من اللآلىء. وبصعوبة تمكنت أن تقول: «إنه جميل!».

بدت ألكس أقل تأثراً منها، إذ راحت تحدّق إلى الخاتم بعين ناقدة ثم

قالت بجفاء: «أبي، كان يجب أن تشتري لها خاتماً من الماس».

ـ الماس ليس مناسباً لكايت.

وكأنه تذكر فجأة أنه ما زال يمسك بيدها فتركها بسرعة متابعاً كلامه: «إنه بارد!».

عضت كايت شفتها وهي تحرك الخاتم في إصبعها ثم قالت بقلق: «لا بد أنه باهظ الثمن».

أجابها فين وهو يتراجع إلى الوراء: «إنه يستحق ما دام سيقنع ستيلا».

وسادت لحظات من الصمت، قبل أن يعود فين ليسألها وكأن الكلمات تنتزع من فمه انتزاعاً: «هل أحببته حقاً؟»

أجابت كايت بصدق: «نعم، لقد أحببته»

ـ يمكنني أن أشتري لك خاتماً من الماس إذا ما رغبت.

خاطرت كايت بالالتفات نحوه، وإذا بعينيها تشعان بلمعان يشبه تماماً لون حجر التوباز، ثم قالت: «لا أريد خاتماً من الماس، بل هذا ما أريده، إنه رائع!».

٨ ـ أيغدو الوهم حقيقة؟

رفضت ألكس أن تقتنع وتابعت تقول بعناد: «لا زلت أعتقد أن خاتم الماس أفضل. إذا رأت عمتي ستيلا هذا الشيء القديم ستظن أنك لا تحب كايت».

نظرت كايت إلى خاتمها الجميل... هذا الشيء القديم؟ أما فين فرمق ابنته بنظرة غاضبة قائلاً: «سوف نقنعها بذلك بطريقة ما»

ـ كيف؟

ـ حسناً... سأقول لها بأنني أحبها.

ظهر الامتعاض على وجه ألكس وقالت: «لا أعتقد أن ذلك كافٍ لإقناع عمتي ستيلا، فأنت تعرفها».

ـ أنا واثق أننا سنجد طريقة لإقناعها.

ثم حاول أن يغير الموضوع مقترحاً على ألكس أن تبدأ بإعداد المائدة استعداداً للعشاء. لكن لم يكن من السهل إلهاؤها، فما إن أحضرت السكاكين والشوك حتى عادت تقول: «أظن أن عليك معانقة كايت».

تظاهرت كايت بانشغالها بتحضير البطاطا متجنبة النظر إلى أي منهما. لكن ألكس ألحّت قائلة باهتمام: «هل سبق لك أن عانقتها؟».

وسادت لحظة من الصمت الجليدي، إلى أن قال فين بنبرة جافة: «لا أظن أن هذا الأمر يعنيك ألكس».

لكن يبدو أن كلماته لم تؤثر بألكس فتابعت تقول ببراءة: «كنت أفكر فقط أن عليكما أن تتمرنا على ذلك إن لم تكونا قد تعانقتما من قبل».

ردّ عليها فين بحدّة قائلاً: «حسناً، نحن لن نتمرن الآن بل سنتناول العشاء، وعليك بعدئذٍ الذهاب إلى السرير».

وحدها ألكس بدت غافلة عن الجو المتوتر الذي ساد في المطبخ، إذ استمرت بالثرثرة. أما كايت فابتسمت لها بصورة آلية وهي تفكر... إن كان فين سيعانقها. لن تمانع، حتى لو كان ذلك بهدف التمرّن فقط، فالعناق يبقى... عناقاً.

بعد العشاء، رافق فين ابنته إلى غرفتها، بينما راحت كايت تنظف المطبخ بصورة آلية. فكرت أن عليها ألا تبدو شديدة الحماسة إذا ما اقترح فين أن يأخذا برأي ألكس. عليها أن تدعي التفكير في الأمر أولاً ثم الموافقة دون ابداء اهتمامها. لكن المشكلة هي أن فين لم يقترح ذلك، فهو لم يشِر من قريب أو بعيد إلى زيارة ستيلا أو إلى فكرة ألكس. وكل ما قام به هو مساعدتها في ترتيب المطبخ فراح يتحرك هنا وهناك برشاقة دون أن يقترب منها على الإطلاق.

شعرت كايت بالإحباط وتساءلت إن كانت تجرؤ على التطرق إلى الموضوع بنفسها. في البداية شعرت أن أعصابها لن تحتمل ذلك، لكن عندما طال الصمت بينهما ليصبح مزعجاً غيّرت رأيها. اللعنة! من المفترض أنهما شخصان راشدان، فلِمَ لا تستطيع أن تقول شيئاً؟ التقطت منشفة وراحت تجفف الصحون، ثم قالت بنبرة حاسمة: «كنت أفكر بما قالته ألكس».

كان فين يضع الأكواب في الخزانة وقد بدا شارد الذهن فسألها: «ما الذي قالته بالتحديد؟».

كان يدير ظهره نحوها، فنظرت إليه كايت بامتعاض، من الواضح أنه لن يسهل الأمور عليها.

ـ كنا نتحدث عن زيارة شقيقتك.

استدار فين وقد ظهر التيقظ فجأة في عينيه الرماديتين: «نعم».

ـ اقترحت ألكس أن نتمرن على العناق قبل مجيء شقيقتك ستيلا.

سألها فين: «وما رأيك أنت؟».

شعرت خلف كلامه بتيار خفي من التسلية أو ربما... الدهشة. ومهما يكن ذلك، فقد كان كافياً ليجعلها ترفع ذقنها إلى الأعلى وترفع الأطباق التي تحملها بين يديها أمام صدرها في حركة دفاعية. ثم تقول ببرودة: «أظن أنه يجدر بنا ذلك. سوف يفتضح أمرنا إذا ما لاحظت شقيقتك أننا لم نفعل ذلك من قبل. ولن يستغرقها الأمر طويلاً لتدرك أننا لسنا مخطوبين».

أذعن فين بتذمّر: «أظن أنك على حق!».

شعرت كايت بالغضب منه، لكنها غضبت أكثر من نفسها لأنها ما زالت ترغب في عناقه بالرغم من تذمّره وعدم رغبته بذلك، فقالت بحدّة: «لن يكون الأمر سهلاً لكلينا. لكنني أعتقد أن القيام بذلك ونحن وحدنا أفضل من الشعور بالارتباك لوجود الآخرين».

وضع فين الكوب الأخير في الخزانة: «هل تريدين أن أعانقك؟».

رمقته كايت بنظرة باردة: «أنا لا أريدك أن تعانقني. بل أقترح عليك أن نتمرن على ذلك كي لا تشعر بالارتباك أمام شقيقتك».

ـ حسناً، وهل نقوم بذلك الآن؟

ـ الآن؟

ظهر عليها التردّد، فمع أنها كسبت الجولة، لكنها لم تكن مستعدة لعناقه بهذه السرعة.

ـ من الأفضل أن نقوم بذلك في أسرع وقت ممكن.

لا يمكنها الآن أن تشتكي لأن الموقف يخلو تماماً من الرومنسية. ابتلعت ريقها: «حسناً».

اقترب فين منها وأخذ من يديها المتوترتين الصحون التي كانت تحملها، ووضعها على الطاولة، ثم استدار إلى حيث تقف. سمعت كايتي ضربات قلبها تضج بقوة في أذنيها وشعرت بضعف في ركبتيها سألها فين

دون أن يبدو عليه الإبتسام: «هل نقوم بذلك؟».

شعرت بجفاف في حنجرتها ولم تستطع أن تتكلم، فأومأت موافقة بصمت. وضع فين يديه على كتفيها وقرّبها منه ورفعت رأسها فارتطم رأساهما معاً ما جعل الموقف أكثر إرباكاً. فقالت بسرعة: «لا بأس، إنه تمرين فقط».

وافقها فين: «نعم، هل نحاول ثانية؟».

ـ نعم.

وهذه المرة وضع يديه حول ذراعيها واحتضنها، فيما حدقت هي إلى عينيه الرماديتين الباردتين ووقفت دون حراك. وها هي إلا لحظة حتى اجتاحتها موجة من الأحاسيس المدغدغة وشعرت أن الأرض تهرب من تحت قدميها، فأحاطته بذراعيها وبادلته عناقه.

لم تعد كايت واثقة مما يحدث لها، ففي لحظة كانت تقف بثبات قادرة على السيطرة على نفسها، وفي اللحظة التالية وجدت نفسها متشبثة بفين وهي تذوب بين ذراعيه. وأحست أن ذهنها قد توقف عن التفكير مستسلماً لدفء عناقه. ثم غدا عناقه أقوى فأقوى حتى كادت تفقد صوابها. لكنها عادت وتماسكت من جديد، فهي لا تريده أن يشعر أنها كانت ترغب حقاً في معانقته، عليها أن تخفي حقيقة مشاعرها عنه... وكأن فين شعر أن عناقهما طال أكثر مما يجب فابتعد عنها قليلاً ومرت لحظات طويلة وهما يحدقان ببعضهما البعض بذهول.

كادت كايت تفقد توازنها، وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية. أما فين فقد بدا الذعر على وجهه فتراجع إلى الوراء ولم يعرف ماذا عليه أن يقول. ثم قال بعد تردّد: «حسناً...».

وتمكنت كايت من استرداد أنفاسها لتتابع عنه: «هذا... هذا أفضل» ذلك أن نظرة الرعب التي ظهرت على وجهه جعلتها تعود إلى الواقع. وفكرت أن كل ما عليها أن تفعله الآن هو أن تتصرف بلا مبالاة كي لا

يكتشف فين أن عناقه لها أثار فيها مشاعر حميمة. قال فين وقد بدا الذهول في نبرة صوته مثلها تماماً: «نعم... أظن ذلك».

ساد بينهما صمت مزعج وتساءلت كايت، ماذا يجدر بها أن تفعل الآن؟ أخيراً خرق فين الصمت ليقول: «عليّ أن أكتب بعض الرسائل، سأكون في مكتبي إذا ما احتجتني».

خرج بهدوء، وكأنه لم يعانقها لتوه... راقبته وهو يخرج فيما شعرت هي بالإحباط. حملت الصحون من جديد لتضعها في مكانها وهي تفكر بالنظرة التي ظهرت على وجهه بعد معانقتهما. لقد كان هذا العناق غلطة ومن الأفضل ألا تتكرّر.

لقد انسحب فين إلى مكتبه، ولا يبدو مستعداً لمناقشة الموضوع. بإمكانها أن تراهن على أنه لم يقرأ أيّاً من تلك المقالات التي تشدد على ضرورة وأهمية التحدث في الأمور ومناقشتها للوصول إلى علاقة ناجحة.

تنهدت كايت ثم ذكرت نفسها بأن ما بينهما ليس «علاقة» حقيقية، فهي مجرد موظفة لدى فين، وإن كان قد مر بلحظات ضعف فذلك لا يشكل أساساً صالحاً لبناء حياة مشتركة. إلا أن ذلك لم يمنعها من الأمل بأن يعود فين فيلمح إلى ما حصل بينهما، إذ من الأفضل لهما معاً أن يتكلما في الموضوع. لكن تبين لها بوضوح في ما بعد أنه وعاد إلى التصرف كسابق عهده وكأن عناقهما قد انمحى تماماً من ذاكرته. وتمنت كايت أن تتصرف بالمثل، لكن تلك الذكرى تغلغلت تحت جلدها وظلت تقض مضجعها. ومع ذلك استمرت في عملها، وراحت تقنع نفسها بأنها سوف تنسى أمر ذلك العناق مع الأيام. إلا أنها ظلت ترجو أن يعود فين من عمله ذات يوم وهو يشعر بالإرهاق والتوتر وتعاوده ذكرى عناقهما عندما يدخل إلى المطبخ، فيأخذها بين ذراعيه ويعانقها مرة أخرى.

بدا لها بوضوح أن ذلك لن يحدث. إذ راح فين يتصرف بتهذيب بالغ، حرصاً على إبقاء مسافة بينهما، حتى إنه تجنب أن تلامس أصابعه

أصابعها. تصرفه هذا جعلها تتأرجح ما بين السخط والإحباط، فأصبحت شديدة التأثر حتى إنه لاحظ التغير الذي أصابها، ما جعله يسألها: «ما مشكلتك هذه الأيام؟».

ـ لا شيء.

تنهد ساخطاً: «أرجوك، لا تجعليني أخمّن. لقد كان يومي متعباً، ولست في مزاج يسمح لي بتحمل الألاعيب. من الأفضل أن تخبريني ما المشكلة».

آه، نعم! وهل يمكنها حقاً أن تخبره؟ فهل تقول له: المشكلة هي أنني واقعة في حبك حتى أذني، فهل يمكنك أن تبادلني الحب لكي أشعر بالتحسن؟

حدّثتها نفسها بأن تقول له ذلك علّها تتمكن من إثارة انفعاله وإخراجه من الصمت الذي يلتزم به، لكن منعها من ذلك خوفها من أن يصيبه الهلع بسبب تلك الفكرة وحوّلت سخطها إلى حبات البطاطا فراحت تفرمها بعنف وقوة.

ـ ليس هناك مشكلة. أنا أقوم بوظيفتي فقط.

حلّ ربطة عنقه ورماها على الكرسي: «وظيفتك لا تجعلك تتصرفين كالزوجة المظلومة».

وضعت شرائح البطاطا في المقلاة بعنف غير اعتيادي، ثم وافقته قائلة: «نعم. وظيفتي تقضي بأن أهتم بك، بابنتك، بمنزلك، وبكلبك. وليس لدي الوقت كي أتصرف كزوجة، فكم بالأحرى كزوجة مظلومة!».

تنهد ساخطاً: «إذا أردت أخذ عطلة فما عليك سوى أن تخبريني بذلك».

قالت بنزق: «اسمع، أنا في مزاج سيء، وهذا كل ما في الأمر».

وخشيت أن يلح عليها أكثر، فتخبره بما يزعجها حقاً، عندئذٍ سوف يشعر بالندم. وتابعت: «ولا تسألني عن السبب فليس هناك سبب محدد،

ولا أظن أن هناك بنداً في عقد العمل يجبرني على أن أبدو ضاحكة طيلة الوقت»

ـ إذا كان مزاجك سيئاً فربما من الأفضل أن تأخذي إجازة لتخرجي هذا المساء.

صححت له بنزق: «لقد فات الأوان الآن. كما أنني سأخرج مساء الغد».

ـ أحقاً؟ ومع من؟

حملت نبرته استياء ومرارة غريبين بالنسبة إلى شخص كاد منذ قليل يدفعها إلى خارج المنزل.

ـ معك. لقد دعتنا جارتك لتناول القهوة في منزلها.

عقد فين حاجبيه استياء وسألها بصوت ينذر بالشر: «أي جارة؟».

ـ لورا. يبدو أنها أمضت عدة أسابيع بعيدة عن المنزل وجاءت اليوم لتسأل عن أخبارك.

ولورا هذه امرأة مطلقة فاتنة الملامح، وقد لاحظت كايت التماع عينيها الجريئتين حين قرعت جرس الباب هذا المساء لتسأل عن فين. ولم يبدُ عليها السرور لرؤية كايت مكان روزا، كما بدت أقل سروراً عندما تعمدت كايت أن تريها خاتم الخطوبة الذي يزين إصبعها. قال فين مقطباً: «أرجو أن تكوني قد قلت لها إنني مشغول»

ـ كلا. بل قلت لها إنه يسرّنا تلبية دعوتها.

ـ نحن؟

ـ نعم نحن، أنت وأنا! مع أنني لاحظت أنك ألغيت هذا الأمر من ذهنك لكن يفترض أننا مخطوبان!

ـ نحن نتظاهر بأننا مخطوبان!

ردّت كايت بغضب: «هذا ما قصدته»

وتابع فين يقول بنزق: «هذا عندما تكون ستيلا هنا فقط، ولا داعي

لتوريط الجيران في هذه التمثيلية»

احتجت كايت: «أنا لا أورط أحداً. هذه المرأة قدمت بنفسها، وبدا واضحاً أنها تخطط للقاء حميم بك في الوقت الذي أضع أنا هذا الخاتم الكبير في إصبعي على أنه خاتم خطوبة. فماذا تتوقع مني أن أفعل؟ هل أدعي أنه غير موجود؟».

وهي طبعاً لن تخبر فين أنها تعمدت أن تري الخاتم للورا كما تعمدت أن تلمح إلى أمر الخطوبة.

ـ كان بإمكانك أن تقولي إنك مخطوبة إلى شخص آخر.

عندئذٍ قالت كايت متهكمة: «آه، أنا آسفة، فأنا لست بارعة في قراءة الأفكار. كيف لي أن أعلم من يسمح له بأن يعرف بأمر الخطوبة ومن لا يسمح له بذلك؟ أين المشكلة إذا علمت لورا على أي حال؟».

قال: «المشكلة هي أنني أحاول تجنب هذه المرأة منذ سكنت في الجوار واكتشفت أنني أرمل. وقد نجحت حتى الآن في إبعادها عني بعد أن أخبرتها بأنني لست مستعداً لإقامة علاقة جديدة»

ـ وإن يكن! يمكنك أن تخبرها أنك غيرت رأيك حين التقيت بي.

غمغم فين: «هذا رائع! وبعد رحيلك سيكون علي أن أخبرها بأن علاقتنا قد انتهت، وعندئذٍ سوف تفكر أن لا سبب يمنعني من التفكير في علاقة أخرى»

قالت كايت بنبرة قوية: «ليس عليك سوى أن تقول «لا» عوضاً عن الاختباء خلف مسألة ترملك، لا أظن أن ذلك صعب عليك فأنت بارع في عزل نفسك عن الآخرين»

فبهت للحظات ثم قال: «ماذا تعنين بذلك؟».

أجابت وهي تضع في يدها القفاز الخاص بالفرن: «حسناً، أنت لا تسمح للآخرين بالاقتراب منك، أليس كذلك؟ ولا بد أن لورا بارعة جداً وأنها عديمة الإحساس لتستمر بملاحقتك طيلة هذا الوقت فيما لا تجرؤ

الأخريات على ذلك. . . فنحن جميعاً نخاف منك».

رمقها فين بنظرة حادة: «لا أظن أن ذلك ينطبق عليك مطلقاً».

ـ كل ما في الأمر أنني أتظاهر بالشجاعة. لقد أخبرتك أنني كنت بارعة في التمثيل.

قال بجفاء: «لا بد أنك بارعة أكثر مما أتصور».

وفجأة، بات جو المطبخ مشحوناً بذكرى ذلك العناق الذي تبادلاه، وكأن الهواء بينهما بات محملاً بمشاعر قوية وخطيرة. أبعدت نظرها عنه، وانحنت لترفع الصينية من الفرن، وقد سرّها أن تجد عذراً لإخفاء وجهها المتوهج. ثم قالت بنبرة متردّدة: «ربما. . . أنا كذلك».

وفيما استفاقت في وقفتها ورفعت الغطاء عن الصينية لتقلب محتوياتها، كان فين لا يزال جالساً في مكانه متأملاً، ثم قال: «أحقاً أنك وعدت لورا بأن نزورها غداً مساءً لتناول القهوة عندها؟».

استعادت كايت سيطرتها على نفسها: «نعم، فلست أرى سبباً لرفض دعوتها».

وتنشقت برضى رائحة الطعام المنبعثة من الصينية ثم تابعت: «ما إن اكتشفت لورا أنها لا تستطيع الحصول عليك لنفسها حتى بدأت تتحدث عن دعوة أشخاص آخرين لنلتقي بهم. أظن الأمر سيكون مسلياً».

ـ تبادل حديث فاتر مع أشخاص لا أعرفهم لا يبدو أمراً ممتعاً بالنسبة لي!

ـ آه، لا تقل ذلك. . . قد تلتقي بشخص يثير اهتمامك.

ـ حسناً، وماذا بالنسبة لألكس؟

رفعت كايت بصرها إلى الأعلى ثم استدارت لتقول: «نحن لن نذهب بعيداً وأظن أن بإمكان ألكس أن تأتي معنا. كما يمكنني أن أطلب من بيلا أو من فوبي أن تأتي لتبقى معها، وأنا واثقة أن أياً منهما لن تمانع. على أي حال، لقد قبلت هذه الدعوة، وليس أمامك الآن سوى الذهاب».

ووضعت بذلك حداً للنقاش قبل أن تخلع مئزر المطبخ وهي تقول: «حاول أن تأتي إلى المنزل باكراً مساء الغد، إذ علينا أن نكون هناك عند السادسة والنصف».

مساء اليوم التالي كانت بيلا تلعب الورق مع ألكس حين نزلت كايت السلالم ودخلت إلى المطبخ وقد ارتدت تنورة طويلة وربطت على خصرها حزاماً أنيقاً.

فبادرتها بيلا: «تبدين مذهلة! سوف يتهافت الرجال على صحبتك هذه الليلة».

شدّت كايت أطراف قبتها بارتباك قائلة: «ألا تظنين أن هذه القبة محفورة أكثر من اللازم؟».

قالت بيلا بابتهاج: «كلا، طالما أنك ترتدينها يمكنك أن تتباهي بها».

ـ ليتني أحضرت معي المزيد من الثياب، فلورا تبدو من النوع الذي يهتم بالأناقة.

فعلّقت ألكس بصدق: «أظن أنك جميلة كايت، ألا تظن ذلك أبي؟».

استدارت كايت بسرعة، إذ لم تكن قد سمعت فين وهو يدخل خلفها إلى المطبخ. وراح قلبها ينتفض لرؤيته، بدا طويلاً وصارماً في بذلته السوداء. نظر إليها ثم قال: «نعم، لا بأس بها».

ـ آه، أرجوك سيد ماكبرايد، إطراؤك هذا سوف يفقدني صوابي.

قالت كايت ذلك لتخفي خيبة أملها. فتنهد فين، ثم قال: «تبدين جميلة حقاً. . . ومشرقة. . . وأنيقة. . . ماذا يفترض بي أن أقول أيضاً؟».

حثّته كايت قائلة: «وممشوقة القوام»

واقترحت بيلا: «ورائعة»

استقرت نظرات فين على أسفل عنقها ثم قال: «نعم، رائعة»

تلا ذلك لحظة من الصمت، وما لبث فين أن نظر إلى ساعته ليقول بسرعة: «إذا كنت قد اكتفيت من سماع الإطراء من الأفضل أن نذهب،

فكلما أسرعنا في الذهاب كلما تمكنّا من العودة باكراً»

فعلّقت بيلا: «إنه تفكير الرجال النموذجي، أليس كذلك؟».

أمسكت كايت بذراع فين وأدارته باتجاه الباب وهي تقول: «كفاك تذمراً، كل شيء سيكون على ما يرام. فكر بالأمر على أنه تمرين على كيفية التصرف حين تأتي ستيلا... كما يمكنك على الأقل أن تتظاهر بأنك سعيد بخطوبتنا»

كما توقعت كايت، بعد أن أدركت لورا أن لا أمل لها باصطياد فين، دعت عدداً من الجيران. بدت النساء غاية في الأناقة، وشعرت كايت، منذ اللحظة التي فتحت فيها لورا الباب لهما أن ملابسها تبدو أقل أناقة من ملابس الأخريات، ولم يكن الرجال أقل أناقة أيضاً. وبما أن الأوان قد فات على تغيير مظهرها حاولت أن تظهر روحها المرحة، فراح الرجال يتسابقون إلى التحدث إليها والاهتمام بها، ما جعل فين يشعر بعدم الارتياح.

عندما عادا إلى المنزل بادرتهما بيلا بالقول: «عدتما في وقت مبكر! لم نتوقع عودتكما بهذه السرعة. كيف كانت السهرة؟».

تشدق فين قائلاً: «ممتازة. لقد حرصت كايت على تشويه سمعتي وتخريب العلاقات الزوجية بين جيراني وذلك خلال دقائق معدودة فقط!».

قالت كايت بغضب: «لا أعلم عمّا تتحدث!».

وكانت لا تزال غاضبة لأنها انتزعت انتزاعاً من وسط السهرة دون مبرر.

أوضح لها فين بنزق: «آه، طبعاً لا تعلمين! فأنت كنت تقدمين استعراضاً لمواهبك. لن تستغرب لورا عند سماعها خبر انفصالنا بعد أن رأت تصرفاتك».

ـ كلا، هذا ليس صحيحاً! على أي حالٍ، ما كنت ستلاحظ فقد أمضيت طيلة السهرة ملتصقاً بلورا، ولم يبدُ عليك مطلقاً أنك تحاول التحرر منها.

تعابير وجهك أظهرت مبلغ ارتياحك لرفقتها.

ـ وماذا عن ضحكاتك الرنانة التي جمعت الرجال كلهم حولك؟

قاطعتهما بيلا وهي تقول بلطف: «مهلاً، مهلاً، أيها الأولاد! أظن أن عليكما أن تبدوا أكثر انسجاماً قبل مجيء ستيلا. في الواقع، يظهر الخطيبان عادة رغبتهما في الارتباط لأنهما يحبان بعضهما البعض ويودان أن يمضيا بقية حياتهما معاً، أما الشجار فيحصل عادة بعد الزواج».

ـ من المؤكد أنه يجدر بنا أن نتصرف بطريقة مختلفة بعد مجيء ستيلا، فهي لن تقتنع أننا مرتبطان إذا ما استمرت كايت بالتصرف على هذا النحو!

قالت كايت بنبرة متغطرسة: «لن تكون هناك مشكلة. كل ما في الأمر أنني شعرت بالإثارة هذه الليلة لأنني حصلت على بعض الاهتمام والتقدير من الآخرين، وهذا لا يحصل عادة عندما أكون برفقتك!».

أنّبتها بيلا بلباقة قائلة: «ربما يجدر بك أن تبذلي جهداً أكبر حين تأتي ستيلا. لقد تحدثت إلى فوبي عندما كنتما في الخارج، وفكرنا أن إقامة حفلة صغيرة لمناسبة خطوبتكما هي فكرة جيدة. وبما أن فين هو صديق جيب وكايت صديقة فوبي، فمن الطبيعي أن يقيما حفلة للمناسبة بحضور ستيلا على أن يدعوا أيضاً الأصدقاء المقربين... أعني أنا وصديقي وجوش وصديقته».

ونظرت إلى فين بعينيها الزرقاوين: «ستصبح أختك أكثر اقتناعاً بخطوبتكما عندما ترى أن أصدقاءكما يتعاملون معكما على هذا الأساس»

ردّ فين بتذمر وهو لا يزال غاضباً من كايت: «هذا محتمل، لكن لا حاجة لتوريط الآخرين في هذه المسألة، إذ يكفي ما وصلت إليه الأمور حتى الآن».

وفكرت كايت أن فين على حق في ذلك، فمسألة الخطوبة أوشكت أن تخرج عن السيطرة. لكن غضبها منه هذا المساء دفعها لتقول بصلابة: «أظنها فكرة رائعة، سوف أتصل بفوبي غداً لتحديد موعد للحفلة».

كان من المقرر أن تصل ستيلا يوم الثلاثاء. أمضت كايت اليوم السابق في تنظيف المنزل، واهتمت بصورة خاصة بغرفة الضيوف الثانية، إذ كانت هي تشغل الغرفة الأولى. فوضعت فيها باقة من الأزهار، كما وضعت في الحمام صابوناً معطراً ومناشف نظيفة ثم أقفلت الباب كي لا يدخل ديريك إليها ويشعث غطاء السرير. كما أنها خططت لتحضير عشاء مميز ترحيباً بالضيفة.

دخل فين إلى المطبخ بعد أن وضع ألكس في سريرها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ـ نعم.

بعد ذلك المساء الكارثي في منزل لورا حاول كلاهما التصرف باتزان وتهذيب، متجنبين الحدّة في الكلام مع بعضهما البعض. غمس فين إصبعه في خليط الشوكولا ثم رفعه بسرعة قبل أن تختطف كايت الوعاء وهي تقول: «لن ينجح ادعاؤنا بأننا مخطوبان إن لم نقم بالأمور بطريقة صحيحة».

لعق فين إصبعه متجاهلاً عبوسها: «أنت على حق. هذه الشوكولا لذيذة!»

راحت كايت توزع الخليط بحذر على أوعية صغيرة قبل إدخالها إلى الفرن. وعندما أنهت عملها هذا سألت فين ذلك السؤال الذي يشغل بالها: «هل تظن أننا سننجح في اقناعها؟».

ـ سننجح فقط إذا لم نفقد أعصابنا أمامها. ستيلا ذكية جداً لذا علينا ألا نتساهل مع أنفسنا حين تكون هنا لأنها ستلاحظ على الفور إذا ما تصرفنا بغرابة. في الواقع...

وعندما توقف فجأة عن الكلام سألته كايت بقلق: «ماذا؟».

لم يجبها فين على الفور، بل سار خطوتين حول الطاولة ويداه في جيبيه وكتفاه محنيتين، وكأنه متردد أيتابع كلامه أم لا... وأخيراً قال: «لا أعلم

كيف أقول ذلك كايت... لكنني أتساءل إن كنت لا تمانعين في النوم في غرفة إيزابيل خلال فترة وجود ستيلا هنا».

رفعت رأسها لتنظر إليه بدهشة، فسارع إلى التوضيح قائلاً: «طبعاً، هنالك باب بين غرفتي وتلك الغرفة، لكن ستيلا لن تقتنع أننا مخطوبان إذا رأت أنك تنامين في غرفة الضيوف».

تنام في غرفة إيزابيل... فيما يصل باب بين غرفتيهما؟ وضعت الوعاء من يدها، وأكمل فين يقول: «ستجد ستيلا الأمر غريباً إن لم يحصل ذلك».

ألم تقل ليبلا إن الأمر ليس مهماً؟ بدأت بجمع الأواني والشوك والملاعق لتغسلها ثم قالت: «معك حق».

فوجىء فين لموافقتها السريعة: «هل ستفعلين ذلك؟».

ـ كنت أقول لتوي إن علينا أن نقوم بالأمور بصورة صحيحة، لذا لن أمانع بأن أستخدم تلك الغرفة حين تكون شقيقتك هنا. أعلم أنك لن...

ولم تستطع إكمال جملتها شاعرة بالارتباك وحاولت من جديد: «أنك لن... أنت تعلم...»

قال بجفاء: «نعم أعلم»

اقترحت: «من الأفضل أن أبدأ الليلة، ألا تظن ذلك؟ هكذا سيبدو الأمر طبيعياً حين تصل شقيقتك عند الصباح».

بدت الأمور سهلة وهما يتحدثان في المطبخ، لكنها لم تبدُ بالسهولة نفسها عند التنفيذ. بدلت ثيابها في غرفتها الأساسية وارتدت ثياب النوم. لم تكد تصدق أنها ستدخل لتنام في تلك الغرفة إلى جانب غرفة فين، حيث لا يفصل بينهما سوى باب.

لفت جسمها برداء النوم وأخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب.

كان فين يقف في تلك الغرفة وهو يرتدي بيجامته. وتساءلت كايت إن كان أخرج هذه البيجاما من عمق أحد الأدراج اليوم بالذات. تردّدت في الدخول فقال مشجعاً: «أردت فقط أن أطمئن إن كنت تحتاجين إلى شيء».

دخلت إلى الغرفة ببطء وهي تقول: «لا . . . لا أظن ذلك، شكراً لك».

لكنه لم يتحرك من مكانه بل راح ينظر إليها وعلى وجهه تعبير لم تستطع تفسيره. وما لبث أن سار باتجاه غرفته ثم قال وهو يدخل عبر الباب الفاصل بينهما: «يمكنك أن تقفلي الباب فالمفتاح من ناحيتك».

ردّت متظاهرة باللامبالاة: «أنا أثق بك ولن أقفله».

رمقها بنظرة ملؤها الحيرة: «حسناً، تصبحين على خير».

أغلق الباب خلفه، وأغمضت كايت عينيها للحظات لتهدىء من روعها قبل أن تندس في الفراش. حاولت أن تبعد تفكيرها عن فين الذي ينام على بعد أمتار فقط منها . . . أتراها تسمع خطواته وهو يذرع الغرفة؟.

وما هي إلا لحظات حتى حلّ السكون المطبق في الغرفة المجاورة. حاولت كايت أن تسترخي، فقد بدا واضحاً أن فين قد استسلم للنوم. هنأت نفسها على برودة أعصابها. حسناً، كل شيء يسير على ما يرام!.

٩ ـ هكذا هم الرجال!

كانت خيوط الصباح تتسلل إلى الغرفة حين استيقظت كايت. أضاءت المصباح الموضوع على المنضدة إلى جانب السرير لتنظر إلى الساعة. آه، عليها إن توقظ فين، فبعد ساعتين تصل شقيقته إلى المطار وعليه أن يذهب لإحضارها من هناك.

فتحت الباب على مهل ومشت على رؤوس أصابعها إلى أن وقفت قرب السرير حيث يغفو فين. بدا تنفسه عميقاً وبطيئاً وبدت رموشه أطول من المعتاد، أما وسامته فلم تكن أقل مما هي عليه عندما يكون مستيقظاً. شعرت بدافع قوي إلى الإقتراب منه، فجلست على حافة السرير ومدت يدها ببطء لتلامس خده. إنها تلعب بالنار! هذا ما فكرت كايت به قبل أن ينقلب فين على جنبه فتعلق يدها تحت خده وتمتد يده الأخرى لتطبق على ذراعها في حركة بدت غير واعية. لكن، أتراها كذلك حقاً. . .؟

بدا تنفسه غير منتظم وذلك قبل أن يفتح عينيه فيما يده ما تزال متمسكة بذراعها. رفرف برموشه كأنما يحاول طرد النعاس من عينيه. وما هي إلا لحظة حتى رفع جسمه على مرفق يده الأخرى ليستوي في جلسته. ذعرت كايت من النظرة التي رمقها بها، فقد راح ينظر إليها ملياً دون أن ينبس بكلمة، أما كايت فقد أخرسها خوفها من غضبه. ولدهشتها، رفع فين يده وقربها منه ليضمها في عناق طويل بدّد مخاوفها كلّها. جعلها عناقه تشعر بالبهجة فغرقت في بحر من المشاعر الدافئة التي تتوق إليها منذ زمن.

بعد فترة، ابتعد عنها وهو يغمغم بكلام غير مفهوم. أسند رأسه إلى

www.elromancia.com

الوراء وهو يحاول استعادة أنفاسه. وأخيراً قال: «أنا آسف، لم أستطع منع نفسي من معانقتك»

حاولت كايت أن تظهر بعض الأسف في صوتها أيضاً: «إنها غلطتي، أظن أنني تماديت قليلاً»

قال فين بجفاء: «ربما... تمادينا قليلاً نحن الإثنان».

ـ هل أنت آسف حقاً؟

لم يجب فين على الفور ثم قال بعد برهة: «كلا. كما لا أستطيع القول إنني لم أكن مدركاً لما أقوم به، لكنني لم أستطع مقاومة رغبتي في معانقتك».

ـ حسناً، هذا ما كنا نود أن نقوم به لنقنع شقيقتك. فما الضير إذا ما قمنا بذلك من أجل نفسينا؟ إننا بحاجة إلى بعض الاسترخاء.

لم يجبها فين بل ظل ينظر إليها لفترة طويلة ما جعلها تشعر بالتوتر. وإذا به يقول: «سأحاول التعود على ذلك»

لزم كايت بضع لحظات لتدرك أنه يحاول إغاظتها، فابتسمت قائلة: «على أي حال سيكون ذلك أمراً مؤقتاً، أي خلال فترة إقامة شقيقتك هنا».

ـ بالطبع.

ـ ولن يتورط أي منا مع الآخر.

ـ نعم.

وساد الصمت بينهما من جديد، فأجوبته المقتضبة جعلتها تشعر بالارتباك ما دفعها إلى القول: «على أي حال، أنا آسفة لأنني أيقظتك... أعني أردت أن أوقظك لتذهب إلى المطار».

اندفع ديريك في نوبة من النباح ما إن سمع جلبة إطارات السيارة وهي تتوقف في الممر المرصوف بالحصى. توقفت كايت في الردهة لتتأمل صورتها في المرآة، ومرّرت أصابعها في شعرها عبثاً علها تخفف من تجعد خصلاته. كانت تشعر بالتوتر لأنها ستقابل ستيلا، فقد ذهب فين وألكس

لإحضارها من المطار، والآن حانت لحظة الحقيقة.

عند الصباح، راح فين يتصرف كعادته تماماً وكأن شيئاً لم يحدث بينهما في ساعة الفجر. راح يتذمر من حالة المطبخ ولم يسمح لألكس بارتداء بنطلون عسكري أثناء ذهابها لاستقبال عمتها، ما جعل كايت تتساءل إن كان عناقه لها مجرد حلم أم أنه حصل في الواقع. أما هي فقد جعلها الاضطراب وقلة النوم تشعر بانعدام التركيز، ولم تستطع التفوه بجملة مفيدة بل جاءت كلماتها عند الصباح مفككة دون رابط.

والآن حان الوقت لتلتقي بستيلا الشديدة الذكاء والقوية الملاحظة. وفكرت كايت وهي تلقي نظرة أخيرة على صورتها في المرآة، أن من السهل إقناع ستيلا بأنها واقعة في حب فين لا بد أن ذلك يظهر جلياً في نظراتها الزائغة ولهفتها عليه.

لاحظت منذ النظرة الأولى الشبه الشديد بين ستيلا وشقيقها. بدت المرأة أكبر سناً من فين، ممتلئة الجسم، وبالغة الأناقة. شعرها رمادي قصير وعيناها رماديتان، نظراتهما حادة كنظرات عينيه تماماً. كانت كايت تقف عند الباب بانتظارهم، فبادرتها ستيلا بعناق دافىء، ثم قالت وهي تمسكها وذراعاها ممدودتان لتتفحص وجهها: «لن تصدقي كم أنا مسرورة لأن فين وجد أخيراً المرأة المناسبة. لكنه لم يخبرني كم أنت جميلة»

تساءلت كايت وقد أصابتها الخيبة إن كان فين يظن أنها ليست جميلة. ما تراه قد أخبر ستيلا بالضبط؟

كان فين يحمل حقيبة ستيلا الثقيلة وإذا به يقول لشقيقته: «إنها ليست جميلة»

جعل هذا الأخيرة تصاب بالذهول، أما كايت فقد فاجأها قوله تماماً. إنها ليست قبيحة، فهل يراها فين كذلك؟

لحسن الحظ، تمكنت كايت من الحفاظ على ابتسامتها، فهي لم تنسَ أن عليهما التظاهر بأنهما مخطوبان، وقالت: «شكراً لك».

ولم تجد بعد ذلك صعوبة في التصرف كخطيبة جرحت مشاعرها: «أتعلم، من الجيد أن يكون المرء صادقاً من وقت إلى آخر».

وضع فين الحقيبة على الأرض ثم قال: «كلمة جميلة ليست كافية في نظري».

والتفت إلى شقيقته التي ظهر السخط على وجهها بالنيابة عن كايت وتابع يقول: «إنها رائعة الجمال، وليست جميلة فقط! وأنا لم أخبرك بذلك لأنني فكرت بأن من الأفضل أن تري ذلك بنفسك».

حلّت بعدئذٍ لحظات من الصمت، وشعرت كايت بالحرارة تغزو وجهها فوقفت تنظر إلى فين كالبلهاء، ولم تعد تدري ما عليها أن تفعل. لقد بدا فين مقنعاً حتى إنها تساءلت للحظة إن كان يعني ما يقول. وتكلمت ستيلا أولاً: «هكذ هو فين، أليس كذلك».

ثم تابعت وهي تشبك ذراعها بذراع كايت: «إنه يجعلك تغضبين، ثم يقول شيئاً كهذا ما يجعل من المستحيل عليك أن تبقي على غضبك منه، وهكذا تكون له دوماً الكلمة الأخيرة».

بدت ألكس متحمسة لتري عمتها كلبها الصغير ديريك، وكان ديريك يحفر الأرض خلف الباب مطالباً بالخروج للمشاركة في الاستقبال. لكن اللقاء بينه وبين الضيفة لم يكن ناجحاً تماماً، إذ لم تسر ستيلا لرؤيته.

ـ أي نوع من الكلاب هذا؟

فقال فين: «إنه من النوع الأكثر سوءاً»

وانبرت ألكس للمدافعة عن ديريك فقالت بحرارة: «كلا، إنه ليس كذلك! إنه كلب ذكي ومدرب بشكل جيد، أليس كذلك كايت؟».

ـ حسناً، ربما هو ليس مدرباً بما يكفي.

قالت كايت ذلك وهي تتذكر الساعات التي أمضتها وهي تحاول تدريبه، دون ذكر سرقته للّحمة ومضغه للأحذية وتمرغه على الأسرة...

نظرت ستيلا إلى ديريك باشمئزاز، ومع أنها لم تقل إنه أبشع كلب وقع

عليه نظرها على الإطلاق، لكن نظراتها أظهرت ذلك. وسألت فين: «أين وجدت هذا المخلوق بحق السماء؟».

أجابها فين: «إنها غلطة كايت، لقد وقعت في كومة القمامة وعادت بهذا الكلب. ومنذ ذلك الحين وهذا الحيوان يعبث في مكتبي وفي منزلي، لقد كلفني حتى الآن ثروة ما بين معاينات الطبيب البيطري وطعام الكلاب!».

قالت ألكس باحتجاج: «آه، أبي...!».

فابتسم لها فين ثم وضع ذراعه حول كتفيها واحتضنها.

ضاقت عينا ستيلا وهي تنظر متأملة شقيقها وابنته ثم كايت، وقالت: «يبدو لي أن أموراً عديدة قد تغيرت هنا»

بدا واضحاً أن التغيير لم يصب شقيقها فقط. فما إن رأت ستيلا المطبخ حتى قطبت عابسة، ما ذكر كايت بعبوس فين.

ـ يبدو أن التغيير أصاب المنزل كلّه لكنني لا أعرف أين بالتحديد، إنه أكثر ترحيباً وأكثر دفئاً.

فاعترفت قائلة: «أظن أن فين سيقول لك إنه لم يعد مرتباً كما كان من قبل»

قال فين وهو يجلب الأكواب من الخزانة: «بالطبع سأفعل، يمكننا أن نلوم كايت على التغيير الذي أصاب المنزل أيضاً».

وفيما راحت كايت تحضر القهوة، قالت ستيلا: «حسناً، أرى أن هناك تحسناً كبيراً».

وضع فين الأكواب على الطاولة: «هذا رأيي أيضاً».

شعرت كايت بأن أنفاسها قد علقت في حنجرتها لكنها تمكنت من القول: «سوف أتذكر ذلك في المرة القادمة عندما تحتج على طريقتي في معالجة الأمور».

رأت أن أفضل ما يمكنها القيام به هو تحويل الأمر إلى مزاح، أما

البديل الآخر فهو أن تندفع نحو فين فتطوقه بذراعيها متوسلة إليه أن يقول إنه يعني ذلك حقاً. لذا تابعت تقول: «ألكس، سوف تشهدين على ذلك لأجلي!».

بدا واضحاً أن ستيلا تتحرق شوقاً إلى الانفراد بكايت، لذا تجاهلت عرض فين بأن يريها غرفتها وقالت: «كايت، تعالي أنت معي».

بعد أن صعدتا السلالم نظرت إلى غرفتها بسرور قائلة: «تبدو جميلة!».

حملت صابونة كانت كايت قد وضعتها من أجلها، فتنشقت رائحتها قائلة: «شكراً لك كايت، سوف تفسدينني بالدلال».

قالت كايت بعدم ارتياح: «أعرف أن فين يقدرك كثيراً، لقد أخبرني بما قمت به لأجله بعد وفاة إيزابيل»

تنهدت ستيلا وهي تجلس على السرير، ثم قالت: «لقد كانت فترة رهيبة، لقد فعلت ما بوسعي لكن كان من الصعب جداً مساعدة فين في الخروج من عزلته، فهو يحتفظ بأحزانه لنفسه. حسناً، أنت تعرفين كم هو عنيد، لقد تفتت قلبي لرؤيته وهو يكافح بمفرده طيلة تلك السنوات. يبدو لي أحياناً أنه لن يسمح لنفسه بأن يشعر بالسعادة مرة أخرى»

تمكنت كايت من القول: «لقد أحب إيزابيل كثيراً».

وكأنها ذكرت نفسها بذلك. فمهما قال فين بحضور شقيقته، عليها ألا تنسى أن وجودها في حياته مسألة مؤقتة فقط.

ـ أعلم ذلك. لكن كان عليه أن يفكر بابنته وبنفسه أيضاً. لطالما قلت له إن ألكس تحتاج إلى أم لترعاها. أنظري إليها الآن، لم أرها قط من قبل بمثل هذه الحيوية. لقد تخلت عن حذرها وجمودها تماماً، وفين يقول إن ذلك كله بفضلك أنت.

ثم ابتسمت لكايت: «فين لا يدرك أن التغيير الحقيقي حصل في شخصيته هو نفسه. هكذا هم الرجال! مرّت سنوات ظل فيها كمن يختبىء خلف جدار صلب، رافضاً السماح لأيّ كان بالاقتراب منه، لكنك تمكنت

من اختراق هذا الجدار. لا بد أنك فعلت ذلك طالما أنك تمكنت من إقناعه باقتناء ذلك الكلب الصغير المضحك! فين لم يحب الكلاب يوماً».

ـ أظنه يحب ديريك أكثر مما يود أن يعترف.

وقفت ستيلا على قدميها: «هذا يثبت وجهة نظري! منذ سنوات لم أره مرتاحاً وسعيداً كما هو الآن، وكل ذلك بفضلك أنت».

وامتلأت عيناها بالدموع وهي تحتضن كايت قائلة: «فين لن يعترف بذلك بالطبع... تعرفين طباعه... لكن من خلال الطريقة التي ينظر بها إليك يبدو واضحاً أنه يحبك كثيراً».

أين بعد النظر وحدّة الذكاء اللذان تشتهر بهما ستيلا!! أدركت كايت أن شقيقة فين مخطئة في استنتاجاتها. إنه لا يحبها مع أنه يبدو أكثر ارتياحاً من ذي قبل، كما أنها لم تسأله إن كان سعيداً أم لا. بعد قدوم ستيلا قلما كان يبقيان وحدهما كي يتسنى لهما التحدث على انفراد. مرت الأيام التالية وكأنها تسير خارج الزمن. وظلت كايت تذكر نفسها أن ما يجري في حياتها الآن ليس سوى إجراء مؤقت سوف ينتهي بعد حين. لكنها لم تشأ أن تعكر صفو تلك الأيام بالتفكير في المستقبل، إذ سيكون أمامها متسع من الوقت لذلك بعد رحيل ستيلا.

هذا ما كانت تقوله كايت لنفسها، لكن ذلك لم يمنعها من الوقوع في حب فين أكثر فأكثر. فكانت تتأمله وهو يقوم بأعمال عادية... فتشعر أن الهواء تبخر من رئتيها ولم تعد تستطيع التنفس ويبدأ قلبها بالخفقان بسرعة وتشعر بدافع قوي لأن تقترب منه فتلف ذراعيها حوله وتعانقه.

لم تكن ستيلا بالزائرة السهلة الإرضاء، إلا أن كايت أحبتها أكثر مما توقعت. فهي صريحة ونشيطة في معظم الأحيان، وعديمة اللباقة مع ألكس في أحيان أخرى، لكن من الواضح أنها تحب فين كثيراً. وقد أظهرت حماسة لا حدود لها بشأن علاقتهما لا سيما عندما أخبرتها كايت عن الحفلة التي ستقيمها فوبي لمناسبة خطوبتهما.

ـ تبدو فكرة رائعة! لولا أنني أرى بوضوح أنكما واقعان في الحب لتساءلت إن كنتما حقا تنويان الزواج، إذ يبدو لي أنكما لا تخططان لذلك. هل حددتما موعداً للزفاف؟

رمق فين كايت بنظرة خاطفة: «لا داعي للعجلة».

صحّحت له ستيلا بحدّة: «لا سبب يدعو إلى الإنتظار أيضاً، كلاكما كيبران بما يكفي لتعرفا ماذا تريدان، وليس لدى أي منكما ارتباطات أخرى، كما أنكما تعيشان معاً. ما المشكلة في المضي قدماً نحو الزواج؟».

صرّ فين على أسنانه متذمراً من تدخل شقيقته ثم قال: «هذا الأمر بيني وبين كايت».

لكن ستيلا لم تكن مستعدة للاستسلام: «بالطبع، لكن عليكما أن تفكرا بالآخرين أيضاً. إذا ما حددتما موعداً للزفاف، سوف يأتي غوف والأولاد معي لحضوره. كما أنني واثقة أن والدي كايت يودان أن يعرفا بالموعد مسبقاً كي يتحضرا للقدوم».

قالت كايت وقد وجدت عذراً مناسباً: «إنهما مسافران في الوقت الحالي، وهذا أحد الأسباب التي جعلتنا ننتظر. حتى إنني لم أخبرهما عن فين بعد».

غمغمت ستيلا: «حسناً، لست أرى سبباً لهذا التكتم. الحمدلله أن هناك أصدقاء طيبين يفكرون بكما، وقد فكروا بإقامة احتفال للمناسبة. لو أن الأمر ترك لكما لما فعلتما ذلك أبداً».

ـ ستيلا، من فضلك، هلاّ توقفت عن تنظيم حياتنا؟ أنا وكايت سعيدان كما نحن.

ـ إذا لم تفكرا بنفسيكما عليكما أن تفكرا بألكس على الأقل.

قال فين بنبرة متوترة: «ألكس أيضاً سعيدة هكذا، أليس كذلك ألكس؟».

أجابت ألكس بحذر: «ن. . . نعم. لكن ستكون الأمور أفضل إذا ما تزوجتما أنت وكايت. عندئذٍ سوف أطمئن إلى أن كايت ستبقى هنا دائماً لتعتني بديريك».

فوجىء فين وكايت بردّها هذا، أما ستيلا فرمقت شقيقها بنظرة ملؤها الانتصار قائلة: «ابنتك هي أكثر حكمة منك. مع أنني لا أضع الكلب ضمن الأولويات، إلا أن ألكس على حق. إن لم تكن حذراً فإنك سوف تخسر كايت، وأنت لا تريد أن تخسرها أليس كذلك؟».

نظر فين عبر الطاولة إلى كايت التي لم يكن يبدو عليها الارتياح. فأجاب برقة: «كلا، لا أريد ذلك».

وفكرت كايت أن الوقت قد حان لتلطيف الأجواء فصاحت: «هاي! أنا لست ذاهبة إلى أي مكان. فهذا المنزل جميل وديريك كلب لطيف، أما أنتما. . . فأظن أن لا بأس بكما أيضاً».

ثم أضافت وهي تغمز بعينها لألكس: «سوف أبقى هنا إلى الأبد».

أما ما جعلها تصاب بالدهشة فهو أن ألكس وقفت واقتربت منها قائلة بحرارة: «هل تعديني بذلك؟».

ماذا يمكنها أن تقول؟ طوقت ألكس بذراعها وضمتها إليها قائلة: «نعم». وتمنت في قرارة نفسها أن يغدو هذا الأمر حقيقة.

ـ سوف يكون احتفالاً ممتازاً!

هذا ما قالته فوبي لكايت عبر الهاتف في اليوم التالي. ثم تابعت: «عليكم جميعاً أن تكونوا هنا بكامل أناقتكم عند التاسعة».

ـ أخبرتني بيلا أنه حفل بسيط فقط.

ـ كلا، لقد قررنا إقامة حفل عشاء ممتاز، لأنكما، أنت وفين، قد التقيتما من قبل عندنا على العشاء.

أبعدت كايت سماعة الهاتف عن أذنها وحدّقت إليها بطريقة غريبة قبل أن تقول: «أنا وفين التقينا في العمل، فوبي».

فردّت فوبي بحزم: «هنا كان أول لقاء اجتماعي لكما، ونحن نود أن نحتفل بكما كما يجب».

أخفضت كايت صوتها محاذرة من دخول ستيلا إلى المطبخ، ثم قالت: «فوبي، أنت تعلمين أننا لسنا مخطوبين في الواقع، وهذه الحفلة هي فقط لإقناع شقيقته بأننا كذلك فعلاً».

ـ بالطبع أعلم.

قالت فوبي ذلك بنبرة فيها من الوقار ما جعل كايت تشك بأنها وبيلا قد تبالغان في مخططاتهما ثم أضافت: «لكن، ما من سبب يمنعنا من الإحتفال».

ـ حسناً، المهم ألا تبالغا بالأمر كثيراً.

تظاهرت فوبي بأن مشاعرها قد جرحت فقالت: «وهل تريننني كذلك؟».

ـ بيلا قد تفعل. احرصي على إبقائها تحت السيطرة. يبدو أن ستيلا مقتنعة بخطوبتنا لكنها ليست مغفلة، وسوف تشك بالأمر إذا ما بالغتما في الاحتفال.

قالت فوبي بلهجة مهدئة: «استرخي كايت، كل شيء سيكون على ما يرام».

لم تكن كايت واثقة من ذلك. كان التظاهر أمام ستيلا صعباً بما يكفي فكيف بقضاء أمسية كاملة برفقة فين مع أصدقائها واحتمال نظراتهم وتعليقاتهم!

أطلقت كايت تنهيدة وهي تبحث في أحد الأدراج عن حلقها المفضل.

ـ ليتنا لا نذهب إلى ذلك الاحتفال!

قالت ذلك لفين حين دخل إلى غرفتها ليسألها في أي وقت عليهم أن يذهبوا إلى منزل صديقتها. رأت صورته في المرآة أمامها وهو يقفل أزرار قميصه وقد ألقى بربطة عنقه على كتفه. تنهد فين بدوره قائلاً: «هذا ما أتمناه

أنا أيضاً، لكن ستيلا متلهفة للقاء هؤلاء الأشخاص. إنها تأمل، على الأرجح، أن تجد مؤيدين لها في مسألة الزواج».

ـ لقد بات الأمر معقداً، أليس كذلك؟

وساورها شعور بالذنب في ما يتعلق بذلك الوعد الذي قطعته لألكس، لم يكن يجدر بها أن تقطع وعداً لن تتمكن من الحفاظ عليه.

ـ إنها غلطتي. كان علي أن أدرك أن ستيلا لن تكتفي بأمر خطوبتنا. فهي لن تشعر بالسعادة إلا بعد أن تعرف كافة التفاصيل عن الزفاف.

ثم تابع وهو يعقد ربطة عنقه حول رقبته: «أتمنى في بعض الأحيان لو أننا لم نبدأ بهذه التمثيلية أبداً».

ـ أحقاً؟

توقفت يدا فين عن عملهما للحظة، وقابلت عيناه عيني كايت في المرآة ثم قال معترفاً: «كلا».

تعلقت نظرات عينيه الرماديتين الباردتين بنظرات عينيها البنيتين الدافئتين من خلال المرآة... وتوقف العالم عن الحركة بالنسبة إلى كايت. ودون أن يرفع بصره عنها، أنهى فين تسوية ربطة عنقه ثم تقدم نحوها ببطء ليضع يديه على كتفيها، وقال: «لا يمكنني أن أتخيّل ما الذي كنا سنفعله من دونك. كنا نشعر بالتوتر في كل مرة تزورنا ستيلا، لكن الأمور سارت بصورة جيدة هذه المرّة، وذلك بفضلك أنت. ستيلا ترى أنك امرأة مذهلة».

توقف قليلاً عن الكلام فيما ظلت يداه القويتان الدافئتان ممسكتين بكتفيها، فألقت كايت برأسها إلى الخلف مستندة إليه ما جعلها تشعر بالارتياح. فقال فين بهدوء: «تستحقين الكثير من الشكر على ما فعلته. ولست أعني التظاهر بأننا مخطوبان، بل... المنزل يبدو رائعاً، وأنت تحضرين دوماً وجبات لذيذة... وهناك ألكس، إنها سعيدة جداً».

سألته كايت بتوتر: «وأنت؟».

أدارها فين بطء لتواجهه وراح يتأمل وجهها قبل أن يقول: «وأنا سعيد أيضاً»

ثم انحنى يعانقها. لفت كايت ذراعيها حوله وبادلته عناقه. لم يكن ذلك عناقاً طويلاً، لكنها شعرت بحلاوته.

ثم سمعا قرعاً عنيفاً على الباب وصوت ستيلا وهي تقول: «هيا بنا، وصلت سيارة الإجرة».

بالكاد تمكنت كايت من الوقوف على قدميها بعد أن تركها فين. فقد كانت غارقة في شلال من المشاعر التي نقلتها إلى عالم خيالي. بل شعرت كأنها شخص آخر وهي تتحرك لتسير خارج الغرفة ثم تنزل الدرج لتستقل سيارة الأجرة، ثم تعطي السائق عنوان منزل فوبي بعد إيصال ألكس إلى منزل إحدى جارات فين.

ـ كايت، تبدين مذهلة تماماً!

قال جيب ذلك وهو يفتح الباب وقد أذهله مظهرها الرائع، ولم يكن الآخرون أقل ذهولاً.

ـ انظروا إليها! إنها في منتهى التألق!

ـ لا بد أنه تأثير الحب!

لكن كايت بالكاد سمعت هذه الإطراءات، فهي لم تستطع أن تركز تفكيرها بعد ذلك العناق المفاجيء في غرفتها.

راحت بيلا تلوح بيدها أمام وجه كايت منتزعة إياها من أحلامها: «كايت، كايت، استيقظي!».

ـ ماذا؟

ـ يمكنك على الأقل أن تبذلي بعض الجهد كي نشعر أنك معنا على هذا الكوكب.

جالت كايت بعينيها حولها، فإذا بستيلا تتهامس مع فوبي وجوش، فيما يتحلق الآخرون حول جيب. كان فين هناك أيضاً، لكنه بدا تائهاً في عالم

آخر وقد علت وجهه ابتسامة، أحست أنها تذوب من الداخل لرؤيته، وما لبث أن وضع أحدهم كوب عصير في يدها. ثم قال جيب: «حسناً! أود أن أقترح نخباً على شرف كايت وفين، فهما منسجمان تماما على عكس ما ظهر في البداية. وأعتقد أننا جميعاً نتمنى لهما السعادة، لأنهما يستحقانها»

وتعالت أصوات الآخرين: «في صحة فين وكايت!».

نظرت كايت إلى فين متسائلة عمّا يجب أن يفعلاه الآن. فلم يبد عليه الإضطراب مطلقاً، بل بدت عيناه الرماديتان أكثر إشراقاً وهو يبتسم لها، فبادلته الابتسام. اقترب منها وقد بدا غافلاً عن كل ما حوله، فوضع ذراعه حول كتفيها وجذبها إليه ثم قال: «شكراً، نحن ممتنان لكم جميعاً».

وما لبث أن أخفض بصره لينظر إلى وجهها قائلاً: «ألسنا كذلك كايت؟».

التمعت عيناها البنيتان وقالت: «نعم»

ثم أخذت نفساً قصيراً لتحافظ على تماسكها، فهي في الواقع لم تسمع ما قاله، لكنها فهمت أنه يريد موافقتها على ما تفوه به فردّدت: «آه، نعم».

لم تكن كايت تفكر كم هي ممتنة لهم، بل كل ما تفكر به هو مقدار حبها لهذا الرجل، وتنتظر بفارغ الصبر أن يشتد ضغط ذراعه حول كتفيها ثم... يعانقها.

ما إن عانقها فين حتى استسلمت له بكل جوارحها دون أن تحسب حساباً لبقية الحاضرين. وأخيراً، عندما تركها، شعرت بالغرابة لسماع التصفيق الذي علا من حولهما.

وقال جيب بجفاء: «هذا يجيب عن تساؤلاتنا كلها».

فعلقت ستيلا وقد سنحت لها الفرصة لذلك: «باستثناء موعد الزفاف».

صاحت بيلا وفوبي معاً: «أنت على حق، متى سيكون ذلك؟».

في تلك اللحظة كان فين يرخي ذراعيه عن كتفي كايت، لكنه لم يستطع إبعاد نظره عنها، فقال: «قريباً».

١٠ ـ أنت من أحتاج إليها!

لا بد أن بيلا وفوبي قد أمضتا أياماً وهما تحضران لهذه الأمسية، وبذلتا جهداً كبيراً في تزيين المنزل والمائدة ودفعتا بالجميع إلى ارتداء ملابس أنيقة للمناسبة. حتى إن كايت شعرت بالذنب لأن الأمر برمته ليس حقيقياً.

ويل، صديق بيلا كان من بين الحضور، بالإضافة إلى صديقة جوش الجديدة. وجميعهم مع فوبي، جيب وستيلا التي بدت مكتملة الأناقة، جعلوا جو الحفلة رائعاً يفيض بالحيوية.

جزء منها كان يود أن يتمتع أكثر بالحفلة، لكن كايت واجهت صعوبة في التركيز على بعض الأمور التي كانت تدور حولها. كل ما كانت تتوق إليه هو العودة إلى المنزل مع فين لتغلق الباب على كل ما يدور في العالم الخارجي. بذلت جهداً كبيراً كي تبتسم أو تضحك في الوقت المناسب، إذ إن جلوس فين إلى جانبها جعلها مشتتة الذهن.

ـ هكذا إذن!

قالت فوبي ذلك بعد أن أجبرت كايت نفسها على التحرك للمساعدة في حمل الأطباق المتسخة إلى المطبخ.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أنت واقعة في حب فين، ألست كذلك؟

وضعت كايت الأطباق على بلاطة المغسلة: «ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟».

ـ إن الأمر واضح، فأنت غافلة عن كل من في الغرفة ما عداه!

غمغمت كايت: «أنا آسفة، أقدر لكما ما قمتما به أنت وبيلا لكن...».

ابتسمت فوبي: «لكن فين هو الوحيد الذي يشغل تفكيرك، أعلم ذلك».

قالت كايت بنبرة لا تخلو من التحدي: «حسناً، أنا أحبه قليلاً».

ـ قليلاً؟

واستسلمت كايت قائلة: «بل كثيراً».

ـ وماذا عنه هو؟ أعني... بدا واضحاً أنه يبذل جهداً ليحافظ على تماسكه، ولكن هناك شيئاً ما في نظراته إليك... أعتقد أنه متيّم بك.

قالت كايت بأسى: «لا أظن ذلك، إنه مجرد ممثل بارع. أنا لم أخبره بحقيقة مشاعري نحوه، ولن أفعل ذلك. نحن نقضي أوقاتاً جيدة في الوقت الحاضر، لكنني أعلم أن ذلك سوف ينتهي في وقت قريب. ما إن ترحل ستيلا حتى أبدأ بالبحث عن وظيفة جديدة. إنها مسألة وقت فقط».

نظرت فوبي إلى كايت بقلق: «وهل ستكتفين بذلك؟».

بادلتها كايت النظر بكآبة، وقالت: «هذا ما يجب أن يكون».

لكن حديثها مع فوبي لم يمر دون أن يترك أثراً في نفسها. صحيح أن فوبي تعرفها أكثر من أي شخص آخر، لكن إذا كانت مشاعرها نحو فين واضحة إلى هذا الحد فعليها أن تلزم الحذر. إنه لأمر فظيع أن يدرك فين أنها واقعة في حبه! ارتجفت كايت لمجرد التفكير بذلك، فذلك سيجعل الموقف مربكاً بشكل لا يمكن احتماله بالنسبة إليهما معاً.

بدا الأمر أكثر صعوبة عندما ذهبت ستيلا لزيارة بعض أصدقائها، إذ تغيبت عن المنزل حوالى أسبوع. واكتشفت كايت أن الحياة في المنزل باتت أكثر ارتياحاً بوجود الثلاثة فقط مع الكلب ديريك. بدا الأمر وكأنهم يؤلفون أسرة عادية، فكان على كايت أن تذكر نفسها أحياناً أن الأمر هو تدبير مؤقت وأنها ليست سوى عضو طارىء على الأسرة.

غياب ستيلا يعني أن عليها أن تعود إلى موقعها المعتاد كمديرة للمنزل، إلا أن ألكس ظلت تتعامل معها كسابق عهدها. ناقش فين وكايت المسألة مساء ذلك اليوم، وقرّرا أن من الصعب أن تعود كايت إلى النوم في غرفتها القديمة أثناء غياب ستيلا. فقال فين: «أنت تعرفين ستيلا، لا أستبعد أن تعود فجأة دون سابق إنذار، لتبدأ مجدداً بالإلحاح علينا لتحديد موعد للزفاف».

حاولت كايت إظهار اللامبالاة بهذا الشأن: «علينا إذن إن نبقى كما نحن الآن»

وافقها فين باللامبالاة نفسها: «ذلك أفضل».

غياب ستيلا أفسح المجال لفين في العودة إلى عمله، ومع وجود ألكس في المدرسة وقدوم أيام ذات طقس رائع، قررت كايت أن تقوم بتنظيف المنزل بصورة جذرية.

بدأت بالطابق العلوي فنظفت الحمّامات وغرف النوم، غيّرت أغطية الأسرة، نظفت الزوايا ونفضت الغبار، لمعت الأثاث وأزالت الفوضى المتراكمة، والتي تثير غضب فين. عندما وصلت إلى غرفتها ذهلت لحالة الفوضى التي حوّلتها إليها، بدت المنضدة بجانب السرير مليئة بالأغراض، محارم ورقية، أقلام، طلاء للأظافر، مبرد، كتب، مجلات، مجوهرات متناثرة، أزرار، أوراق صغيرة ممزقة تظهر أسعار بعض الأغراض، إيصالات... آه، هناك أيضاً ذلك المشط! لقد بحثت عنه طويلاً. يا إلهي! من أين أتت هذه الفوضى؟ رتبت كايت الأغراض ونظفت المكان جيداً قبل أن تنتقل إلى غرفة فين.

لا شك أن كل غرفة تظهر شخصية صاحبها. وهاتان الغرفتان تظهران بوضوح شخصيتيهما المختلفتين. لم تكن غرفة فين بحاجة إلى الكثير من الترتيب، فعلى المنضدة إلى جانب سريره كان هناك المصباح، وبضع قطع نقدية معدنية، لا بد أنه أفرغها من جيبه في الليلة السابقة. بالكاد تحتاج إلى

الترتيب، لكن كايت مرّرت الممسحة فوق المنضدة كعمل روتيني. ولم تعلم ما عليها أن تفعل بالقطع النقدية. ففتحت الدرج لتضعها فيه، إلا أنها ما لبثت أن توقفت... لقد وضعت في الدرج صورة وجهها إلى الأسفل.

ببطء شديد، أخرجت كايت الصورة من مكانها، وهي تعلم تماماً لمن هي، إنها صورة إيزابيل. لا بد أن فين كان يضعها فوق المنضدة بالقرب من سريره لتكون أول شيء يقع عليه نظره حين يصحو وآخر شيء يراه قبل أن ينام.

حملت الصورة بين يديها وجلست على حافة السرير. لا بد أنه وضع تلك الصورة في الدرج يوم اقترح عليها أن تنام في غرفة إيزابيل، فهو لم يحتمل النظر إلى وجه إيزابيل، في الوقت الذي سمح لامرأة أخرى بأن تستخدم غرفتها.

نظرت كايت إلى وجه زوجة فين، لقد كانت امرأة جميلة ذات عينين سوداوين كبيرتين وابتسامة رقيقة. كيف يمكن لفين أن يفكر في استبدالها بامرأة أخرى؟ عضت شفتها ثم أعادت الصورة إلى مكانها في الدرج فلمحت هناك رسالة. التقطتها بيد مرتجفة ولم تشأ أن تفتحها، إلا أنها لم تستطع عدم النظر إلى الكلمات التي ظهرت أمامها بوضوح: «أحبك دائماً وإلى الأبد» وقد كتبت بخط فين القوي الواضح.

وقفت كايت، ووضعت الرسالة في مكانها تحت الصورة ثم أغلقت الدرج.

حان الوقت لمواجهة الحقيقة. لا فائدة من الأمل والتظاهر أو من دفن رأسها في الرمل. لطالما قالت لنفسها إن فين مازال يحب زوجته، لكنها لم تصدق ذلك في الواقع حتى الآن. إنها تعرفه، فهو لا يقول كلماته إذا لم يكن يعنيها، سوف يحب إيزابيل دوماً... سوف يحبها إلى الأبد.

بدت كايت هادئة ذلك المساء، لكن عندما سألها فين ما خطبها، ابتسمت وهزت رأسها قائلة: «لا شيء. أنا متعبة قليلاً، هذا كل ما في

الأمر».

عادت ستيلا بعد ثلاثة أيام مما أسمتها «رحلة عبر انكلترا» ولاحظت على الفور التغيير الذي ظهر على كايت. وما إن أصبحت المرأتان وحدهما حتى سألتها: «ما الأمر؟ هل تخاصمت مع فين؟».

ـ بالطبع لا.

بدا واضحاً أن ستيلا لم تصدقها إذ قالت: «أعرف أن فين قد يكون متعباً في بعض الأحيان، لكنك مناسبة له تماماً، وألكس تبدو سعيدة أيضاً بوجودك. لا أستطيع أن أتحمّل فكرة فشل علاقتكما».

وفكرت كايت أن على ستيلا أن تتحمل ذلك ما دامت هي ستتحمله. لكنها قالت كاذبة: «كل شيء على ما يرام حقاً».

رافق الثلاثة ستيلا إلى المطار، وشعرت كايت بالأسف فهي ذات قلب كبير ومحب، وقد أعجبت كايت بدفء عواطفها وحماستها واهتمامها. وعندما حانت لحظة الوداع فوجئت كايت بشدة تأثرها، إذ احتضنتها بقوة وشكرتها على كل ما فعلته من أجلها، ثم التفتت إلى شقيقها وعانقته قائلة: «عليك أن تهتم بكايت فهي مناسبة لك تماماً».

وأخيراً عانقت ألكس وقالت لها: «لا تدعي أباك يقوم بتصرف أحمق»

أما كلماتها الأخيرة قبل أن تتركهم فكانت: «عِداني بأن تعلماني في أقرب وقت ما إن تحددا موعداً للزفاف».

قال فين وهم عائدون إلى السيارة يلفهم شعور بالأسى بعد وداعها: «لا أدري كيف سأخبرها أنه لن يكون هناك زفاف، لن تسامحني أبداً على ذلك».

قالت ألكس وهي تجر قدميها لتسير بجانبه: «لست مضطراً لأن تقول لها ذلك»

ـ ماذا تعنين؟

ـ يمكنكما أن تتزوجا.

توقف فين عن السير: «ألكس، السبب الوحيد الذي جعلنا أنا وكايت نقوم بهذه التمثيلية هو رفضك للأم البديلة»

ـ لكنني لا أرفض أن تكون كايت مكان أمي.

مرّت لحظة من الصمت الرهيب فيما كان الثلاثة مسمّرين أمام إحدى البوابات المكتظة بالزحام. لم تجرؤ كايت على النظر إلى فين لكنها شعرت بتوتره، وفكرت أن عليها أن تقول شيئاً يخفف من حدة التوتر. فأجبرت نفسها على الابتسام وبذلت جهداً لا يستهان به لتقول: «أظن أنك سوف تضجرين مني قريباً».

قالت ألكس بعناد: «كلا لن أفعل».

ـ سوف أكون صارمة. سأرسلك إلى السرير في الثامنة كل مساء، ولن أسمح لك بمشاهدة التلفزيون خلال أيام الأسبوع. لن يعجبك ذلك بالطبع.

اعترفت ألكس: «كلا. لكن ذلك أفضل من ذهابك».

عندئذٍ تدخل فين ليقول بنبرة فظة: «حسناً ألكس كفى! كايت قدمت لنا خدمة، أما الآن فهي تود أن تعيش حياتها»

ـ لكن...

قاطعها منهياً الجدال: «لا أريد سماع المزيد عن هذا الموضوع»

وخطا إلى الخارج باتجاه موقف السيارات، فتبعته كايت وألكس بصمت. ساد التوتر رحلة العودة إلى المنزل. وما إن وصلا حتى دخل فين إلى مكتبه بعد أن قال لكايت إن عليه أن ينهي بعض الأعمال ولا يريد أن يزعجه أحد أما ألكس فانزوت في غرفتها مع ديريك. ولم تعرف كايت ما عليها القيام به، لكنها فكرت أن العودة إلى ما كانت عليها الأمور قبل مجيء ستيلا هي الأفضل، لذا قررت أن تنقل أغراضها إلى غرفتها القديمة قبل أن يطلب منها ذلك بنفسه.

لم يلاحظ فين ما قامت به حتى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، حين

صعد إلى الطابق العلوي ليقول لألكس التي كانت لا تزال منعزلة في غرفتها: «تصبحين على خير».

نزل إلى الطابق السفلي ليجد كايت تنظف الموقد وهي تحاول عدم التفكير بما سيحصل لاحقاً. قال بنبرة فظة: «أرى أنك نقلت أغراضك».

ـ نعم. هكذا... هكذا يغدو الأمر أسهل.

ردّد فين كلمتها وكأنه لم يفهم مغزاها: «أسهل؟».

ـ اتفقنا على أن أنام في تلك الغرفة إلى أن ترحل ستيلا.

ـ أعلم ذلك، ولكن...

وتوقف عن متابعة الكلام وكأنه يفكر بما عليه أن يقول، ثم قال بتصلب: «نعم، أنت على حق. لا داعي للاستمرار في ذلك».

وافقته بكآبة: «نعم».

وساد بينهما صمت مثقل بالكلمات التي لم يقولاها، ثم قالت كايت وكأنها تطمئنه إلى أنها متفهمة للوضع: «كان ذلك تدبيراً مؤقتاً».

ـ نعم.

وساد صمت مزعج من جديد. غسلت كايت قطعة القماش وعصرتها جيداً ووضعت على وجهها ابتسامة مشرقة: «من الأفضل أن أبدأ بالتفكير بما سأفعله في ما بعد».

ستفعل أي شيء كي لا تجد نفسها مندفعة نحو فين وهي تتوسل إليه أن يبقيها لديه.

ـ وما الذي ستفعلينه؟

آه، أود البقاء معك ومع ألكس... لكنها بدلاً من ذلك قالت: «لا أعلم، لكنني سوف أجد عملاً ما، وعلى أي حال يمكنني العودة إلى وكالة التوظيف المؤقت».

راح فين يذرع أرض المطبخ، ثم سألها فجأة: «لا أظن أنك تفكرين في البقاء هنا، أليس كذلك؟».

راح قلب كايت ينتفض داخل صدرها، وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تتمكن من الكلام لتقول: «فكرت أنك وألكس تودان الإستغناء عن مدبرة المنزل».

ـ هكذا كانت الفكرة، هذا ما أرادته ألكس دوماً. لكن الأمر أصبح أكثر صعوبة الآن. روزا لن تعود إلى هنا... حسناً، في الواقع لقد فكرت بما قالته ستيلا، أعني أن ألكس تحتاج إلى رعاية امرأة وهي تحبك».

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم سألها: «هل يمكنك أن تفكري بالأمر؟».

راحت كايت تفتل قطعة القماش بين يديها... إنها تريد البقاء، لكن هل ستتحمل فكرة بقائها كمدبرة منزل فقط؟

قالت بتردّد: «لست أدري... لا أظن أنني أستطيع العمل كمدبرة منزل بصورة دائمة».

ـ كنت أفكر بك... كزوجة.

انتفض رأس كايت وحدّقت إليه غير مصدّقة: «كزوجة؟».

مرّر فين يده في شعره ثم تنهد قائلاً: «يبدو أنني لم أحسن التعبير... أردت أن أسألك إن كنت تقبلين بالزواج بي».

فتحت كايت فمها ثم عادت وأقفلته ثانية، وأخيراً تمكنت من القول: «لكن... لماذا؟».

ـ يبدو الأمر مناسباً. كبداية، سوف تحل مشكلة إيجاد شخص يعتني بهذا الكلب!

ـ آه. حسناً، يبدو هذا سبباً كافياً!

ـ أنا أمزح طبعاً. المسألة هي أن ألكس تحبك... إنها لم تتقبل من قبل فكرة أن يكون لها أماً بديلة، لكن أنت... أنت مختلفة. أعتقد أنها ستشعر بالسعادة إذا ما بقيت هنا بصفتك مدبرة المنزل، لكنها ستشعر بأمان أكبر إذا ما علمت أنك ستبقين بصورة دائمة من أجلها.

نظرت كايت إليه وقد أشرقت عيناها بالبريق: «وكيف تشعر أنت حيال

www.elromancia.com

هذا الأمر؟».

التقت نظرات فين بنظراتها: «سوف أشعر بالسعادة أيضاً. لقد كنا متلائمين تماماً خلال الأسابيع المنصرمة، أليس كذلك؟ سوف يوفر عليك ذلك العودة إلى العمل بصفة مؤقتة. بالطبع، إذا ما رغبت بالحصول على وظيفة يمكنك ذلك، لكنك تقولين دائماً إنك لست مهتمة بالوظيفة!».

بدا فين وكأنه يعرض عليها الحسنات الجمّة التي سيوفرها لها الزواج، وكأنها لا تستطيع استنتاجها بنفسها. ثم قال: «أعرف أن ذلك لا يبدو رومنسياً، لكن الكثيرين يتزوجون لأسباب أكثر تفاهة».

وفكرت كايت أن ما يقوله صحيح، لكنها لم تتخيّل يوماً أنها قد تتزوج فقط من أجل أسباب كهذه. راحت تلف قطعة القماش بين يديها إلى أن أصبحت على شكل كرة مرصوصة، ثم عضّت شفتها وراحت تنظف جوانب المغسلة. وبعد قليل سألته: «ماذا عن إيزابيل؟».

تردّد فين، ثم قال: «أظن أنها سوف تفهم الأمر. إنها تريد الأفضل لألكس، وهذا ما أريده أنا أيضاً».

إذن، فهو لا يدّعي أنه يرغب في الزواج بها لأنه يحبّها! واستمرت في تنظيف المغسلة دون تفكير... ربما هذا أفضل... لن تصدّقه لو أنه حاول إقناعها بأنه يرغب في الزواج بها لأسباب أخرى غير تلك التي ذكرها. وفكّرت بكآبة، يا للسخرية! يمكنك أن تحلمي... وتحلمي بأمر ما، وعندما يتوفر لك تجدين أن ليس هذا ما تخيّلته مطلقاً!

منذ دقائق، كانت تتلهف لأن يطلب فين منها الزواج به، وها هو قد فعل. فما بالها لم تعد قانعة بأقل من حبه لكي توافق؟ فضّت قطعة القماش ونشرتها على بلاطة المغسلة، ثم سألت فين بهدوء أذهلها: «هل يمكنني التفكير بالأمر؟».

ـ بالتأكيد.

بدا فين قلقاً إلى حد ما بسبب شدة سيطرتها على نفسها. ولم يفاجئها

ذلك نظراً لكيفية تجاوبها مع عناقه في كل مرة يقوم بذلك. لا بد أنه توقع أن تقفز من السعادة لعرضه هذا.

ـ لا أود أن أدفعك إلى القيام بأمر لا ترتاحين إليه.

نظرت إليه وهي تفكر أن الأمر الوحيد الذي يجعلها تشعر بالارتياح، هو أن يضع ذراعيه حول كتفيها ويقول لها إنه يريدها أن تبقى لا من أجل كلبه ولا من أجل ابنته... بل من أجله هو. ابتسمت له بصورة آلية وقالت: «أظنني سآوي إلى السرير، لقد كان يوماً طويلاً».

راقبها فين وهي تسير نحو الباب، ثم قال فجأة: «كايت».

فالتفتت إليه: «نعم»؟.

ـ أنا...

لكنه غيّر رأيه قبل أن يكمل جملته ليقول: «لا شيء».

* * *

ـ تتزوجين به؟

قالت بيلا ذلك وهي تحدق إلى كايت عبر الطاولة. كانت الصديقات الثلاث يجلسن في أحد المقاهي المفضلة لديهن، بعد أن استدعت كايت صديقتها إلى اجتماع طارىء مساء اليوم التالي. وتابعت بيلا تقول بنبرة ملؤها الشك: «لن تأخذي الأمر على محمل الجد أليس كذلك كايت؟».

ردّت كايت بنبرة ملؤها التحدي: «حسناً، كنت أفكر بالأمر...»

منذ أن عرض فين عليها الزواج لم تتمكن من التفكير في شيء آخر. وتابعت بلهجة دفاعية: «أعلم أن ليس هذا هو الزواج الذي تحلم به أي فتاة، لكن لا يمكننا جميعاً أن نتوقع قصة حب رومنسية كما حصل مع فوبي. كما أن هناك أموراً أخرى ذات أهمية».

ـ مثل ماذا؟

ـ الاحترام... الانسجام... توفير الحب والأمان لطفلة صغيرة...

قاطعتها فوبي قائلة بنبرة صارمة: «أنت لن تتزوجي ألكس... أو

الكلب. لا شك أن الزواج يتطلب الاحترام والانسجام، لكن هذه الأمور ليست كافية لفتاة رومنسية مثلك. أنت بحاجة للتأكد من أن فين يحبك لكي تشعري بالسعادة معه».

ثار غضب كايت من صديقتها التي راحت تملأ رأسها بالشكوك بعد أن كادت تقتنع بالفكرة، فقالت مجادلة: «أراك قد غيّرت لهجتك تماماً. ألست أنت من حاولت أن تدبر لي موعداً مع فين منذ البداية؟».

ـ ظنّنا يومها أنكما سوف تنسجمان معاً، وقد فعلتما. لكن الأمر لن ينجح طالما ظل فين متعلقاً بإيزابيل. إنه لن ينساها بالطبع، لكن يجب أن يرغب بك من أجل نفسك وليس لأنك مدبرة منزل ممتازة.

وانحنت فوبي إلى الأمام وهي تتابع كلامها بجدية: «لن تحتملي فكرة أن تكوني دائماً المرأة البديلة عن الزوجة التي يحبها»

وفكرت كايت أن ذلك يبقى أفضل من العيش بعيداً عن فين. لقد أمضت الليل مستيقظة وهي تفكر بالأيام والليالي... بالشهور والسنوات المقبلة التي ستمر عليها وهي بعيدة عنه. إذا تزوجته سوف تتجنب عذاب فراقه، وقد ينجبان الأولاد ما سوف يجعلهما أكثر تقارباً.

ـ أنت تستحقين الأفضل كايت، لا يمكنك أن تكوني مجرد بديلة لأحد.

ـ ربما أنت على حق.

بذلت فوبي وبيلا ما بوسعهما لمنعها من ارتكاب غلطة فظيعة. لكن كلما فكرت كايت بالمسألة، كلما بدا لها أن الزواج بفين قرار سليم. قد لا يكون زواجهما مثالياً، لكنها على الأقل ستبقى على مقربة منه فتتمكن من رؤيته ولمسه... كما أن ألكس ستكون هناك أيضاً. سوف يشكلون عائلة.

عندما عادت إلى المنزل، كان فين في انتظارها. راقبته وهو يملأ إبريق الشاي ويضعه على النار. ثم قالت: «فكّرت بما قلته لي بالأمس»

استدار لينظر إليها وقد ظهر التوجس في عينيه الرماديتين: «عن الزواج بي؟».

ـ نعم.

ـ و...؟

ـ و...

فتحت كايت فمها لتقول له إنها سوف تتزوجه، لكنها لم تستطع أن تتفوه بكلمة، إذ أدركت أنها لن تستطيع القيام بذلك. هل يمكنها العيش معه لسنوات دون أن تتمكن من مصارحته بحقيقة مشاعرها نحوه؟ قالت بصراحة: «كنت على وشك أن أقول: «نعم. لكنني أدركت للتو أن هذا لن يكون منصفاً بحقنا نحن الإثنين».

وببطء، نزعت من إصبعها الخاتم الذي اشتراه لها ووضعته على الطاولة: «حاولت إقناع نفسي بأن لدينا أسباباً جيدة كي نتزوج دون حب، لكنني أرى الآن أنني مخطئة في ذلك. فين، نحن الإثنان كدنا نرتكب خطأ فادحاً».

ثم نظرت إلى عينيه مباشرة لتقول: «من الأفضل أن أذهب».

ظهرت الكآبة على وجه فين لكنه لم يحاول إقناعها بل اكتفى بالقول: «سوف تشعر بخيبة الأمل»

والواقع أن ألكس شعرت بأكثر من خيبة الأمل... الإحباط واليأس هما الكلمتان الأقرب لوصف مشاعرها حين أخبرتها كايت بأنها سوف ترحل. راحت تنتحب متوسلة: «لكنك وعدتني بأنك ستبقين معنا دائماً».

بدا وجه فين مظلماً وهو يقول: «كان عليها أن تقول ذلك أمام عمتك ستيلا، لكنك تعلمين أن ذلك كله لم يكن سوى تمثيلاً»

انفجرت ألكس باكية، وقالت قبل أن تندفع بسرعة إلى خارج الغرفة: «ما كان عليها أن تقول شيئاً لا تستطيع تنفيذه».

كادت كايت تجهش بالبكاء أيضاً: «هل أذهب وراءها لأحاول

إقناعها؟».

أجابها فين بسأم: «كلا، دعيها. سوف تتجاوز الأمر»

ثم ضغط جسر أنفه بين سبابته وإبهامه قائلاً: «كل ما أرجوه هو ألاّ تحوّل حياة مدبرة المنزل الجديدة إلى جحيم. إنها قادرة على ذلك تماماً»

بعد يومين، أرسلت وكالة التوظيف مدبرة منزل جديدة وهي فتاة أسترالية تعمل خلال عطلتها. وعلى عكس ما توقع فين، بدت ألكس في منتهى اللطف معها، فيما تجاهلت وجود كايت تماماً عقاباً لها. المدبرة الجديدة ميغان بدت لطيفة وماهرة في أعمال المنزل. حاولت كايت أن تشعر بالسرور لأن الفتاة الجديدة مناسبة تماماً، إلا أن قلبها كان مليئاً بالتعاسة والغيرة وهي توضب حقيبتها.

عرض عليها فين أن يوصلها إلى منزلها وسأل ألكس إن كانت تود مرافقتهما، لكن هذه الأخيرة هزت رأسها قائلة إنها تفضل البقاء مع ميغان. ولكن في اللحظة الأخيرة، اندفعت إلى الخارج وكانت كايت على وشك الصعود إلى السيارة، فألقت بذراعيها حول خصرها واحتضنتها بقوة. ثم، ودون أن تنظر مباشرة إلى عيني كايت، قالت بصوت ضعيف: «وداعاً».

واندفعت من جديد إلى داخل المنزل. شعرت كايت باختناق في حنجرتها ولم تستطع التفوه بكلمة. ترقرقت الدموع من مآقيها فيما هي تجلس في السيارة، فمسحتها بظاهر يدها بصمت. قال فين معتذراً: «تعلمين أنها سوف تفتقدك، إنها متكدرة»

ـ أعلم ذلك. وأنا سأفتقدها أيضاً.

ـ ربما يمكنك أن تأتي لزيارتنا بين الحين والآخر، لكي تطمئني بأننا نهتم جيداً بذلك الكلب.

في هذه اللحظة بدا ذلك فوق قدرة كايت على الاحتمال لكنها قالت: «هذا محتمل».

لحسن الحظ أن كايت تمكنت من السيطرة على نفسها فلم تبدأ بالعويل

وهما يبتعدان عن المنزل. شعرت كأن ثقلاً كبيراً رازحاً فوق كتفيها، لماذا... لماذا اختارت الرحيل؟ كان عليها أن تبقى فلا تسمح بمجيء ميغان اللطيفة الطيبة، لتصبح جزءاً من حياة فين.. فيعود إليها كل مساء من عمله فيتحدث إليها ويرتاح إلى وجودها.

بقلب محطم، تركت فين يعيدها إلى حياتها السابقة. حمل حقيبتها من السيارة وصعد السلالم ليضعها في غرفتها، فيما كانت كايت تجر قدميها بثقل في الردهة.

لطالما أحبت منزلها هذا، لكن عندما وصلا لم تكن بيلا هناك، فشعرت كايت بالبرودة والوحدة. هكذا ستكون حياتها من الآن فصاعداً.

ما إن اقتربت لحظة الوداع حتى شعرت كايت بالرهبة. حاولت الحفاظ على رباطة جأشها، إلا أن الألم الذي شعرت به كاد يدفعها لأن تتمنى رحيل فين في أقرب وقت ممكن. ما إن نزل السلالم حتى بادرته قائلة: «شكراً لك».

جاء صوتها قاسياً ومشدوداً، فبغير ذلك لم يكن بإمكانها منع نفسها من البكاء. بدا فين قريباً جداً منها وهو يقف في الممر أمامها، وقال: «علي أن أذهب».

لكنه لم يتحرك من مكانه، بل بدا ضائعاً لا يعرف ما عليه أن يفعل.

ـ نعم، فألكس تنتظر عودتك.

سار مطأطىء الرأس إلى أن وصل إلى الباب، فاستدار نحوها. حدّقت عينا كايت فيه بنهم، كأنها تود أن تطبع صورة وجهه في ذاكرتها... فكرت بذعر أنها لن تراه بعد اليوم. قال فين بتصلب: «أشكرك على كل ما فعلته كايت».

وانحنى ليعانقها كأنه مدفوع بدافع غير منظور. كان عناقاً سريعاً لم يستغرق سوى لحظة، لكن كايت رفعت يديها لتمسكا بيديه قائلة: «إلى اللقاء»

تبادلا النظرات للحظات طويلة مريرة، قبل أن ترتخي أيديهما وتقع إلى جوانبهما.

استدار فين دون أن يضيف كلمة واحدة، وسار عبر الممر إلى السيارة. فتح الباب وألقى نظرة أخيرة في اتجاه كايت ثم انطلق بسيارته بعيداً، تاركاً إياها وحيدة، يائسة على باب المنزل.

يبدو أن التعاسة حمية ممتازة، فلقد تناقص وزن كايت بصورة مذهلة في الأيام التالية، إلا أنها لم تسر إطلاقاً لمنظر ثيابها التي باتت فضفاضة على جسمها. سجلت اسمها في وكالة للتوظيف، لكن الوكالة لم تجد لها وظيفة بعد. وهذا أمر مؤسف. ليس لأن المال كان ينقصها، فبعد الشيك السخي الذي حرّره لها فين لم يعد المال مشكلة، لكن الوحدة والفراغ كانا يدفعانها إلى التفكير بتعاستها. حاولت بيلا أن تخفف عنها: «لقد قمت بما هو صائب. أعلم أن الأمر صعب عليك، لكن من الأفضل لفين أن يتخلص من شعوره نحو إيزابيل أولاً. عليه أن يضع حداً لهذا الأمر».

ـ يضع حداً له؟ ماذا تعنين بذلك؟

ـ أعني أن عليه أن يقرر بنفسه أن الوقت قد حان لكي يتقبل فكرة موت إيزابيل قبل أن يبدأ بالتحرك إلى الأمام. ما إن يقوم بذلك حتى يستطيع التفكير بمشاعره نحوك.

ردّت كايت بكآبة: «لا أظن أنه يكن لي أي مشاعر».

ـ في هذه الحالة، حسناً فعلت أنك لم تتزوجيه. أليس كذلك؟

كانت كايت تعلم أن بيلا على حق في ما تقوله. فالأسباب التي تجعل الزواج من فين فكرة سيئة ما زالت تدور وتدور في رأسها، لكن أياً من هذه الأسباب لم يستطع منعها من التوق لأن تعود إلى منزله. كانت الذكريات تندفع إلى ذهنها بقوة، فين عائد من عمله... يفك ربطة عنقه وهو يدخل إلى المطبخ... ألكس جالسة إلى طاولة المطبخ تنهي فروضها... وديريك الذي يختار أسوأ موقع لينام فيه ما يضطرها إلى القفز فوقه أينما

تحركت في أرجاء المطبخ... بدت الصور حيّة في ذهنها، وشعرت أنها بحاجة لأن تكون هناك، ما جعلها تغمر رأسها بذراعيها وتبدأ بالنحيب من جديد.

وضعت بيلا ذراعها حول كتفيها وتنهدت مواسية: «آه، كايت... ماذا يمكننا أن نفعل من أجلك؟».

ردت كايت وهي تشهق بالبكاء: «لا أدري. أنا نفسي لا أعرف ماذا أفعل»

ـ لقد طلبت من فوبي أن تأتي لزيارتنا، تعرفين أنها تجيد التصرف في الأزمات، آه! لا بد أنها وصلت.

قالت جملتها الأخيرة لدى سماعها صوت الجرس، ثم أضافت: «سأفتح لها الباب لتدخل إلى هنا علّها تستطيع إخراجك من هذه الحالة».

لم تكلف كايت نفسها عناء رفع رأسها. فمع أنها تحب فوبي كثيراً، إلا أن صديقتها لن يمكنها أن تقول أو تفعل شيئاً يخفف من حزن قلبها وألمه.

ـ كايت؟

لم يكن هذا صوت فوبي! تجمدت كايت في مكانها. كان رأسها ما يزال مدفوناً بين ذراعيها وشعرها متناثراً فوق الطاولة. يبدو هذا كصوت فين... لا بد أنها تتخيل الأشياء.

ـ كايت!

عاد الصوت من جديد محمّلاً بنبرة حادة من الغضب... ذلك الغضب الخفيف الذي يتميز به صوت فين.

ببطء شديد، رفعت كايت رأسها... كان فين يقف هناك، يراقبها بعينين رماديتين قلقتين، حدقت به وهي تكاد لا تصدق أنه حقيقي... أنه هناك. لكن من المؤكد أنه هو، فلا أحد سواه يملك مثل هذا الوجه الصارم وهاتين العينين اللتين تجعلانها تذوب من نظرة واحدة رغم قساوتهما. لكنه يبدو مختلفاً عما تخيّلته في أحلامها، ففي تخيلاتها كان وجهه يشرق

بالابتسام ما إن يراها، فيمد ذراعيه نحوها.

لكن الحقيقة تتجلى الآن أمامها وليس الخيال، والتعبير الذي يعلو وجه فين ليس الابتسام وإنما نوع من الغضب المحيّر. وبادرها قائلاً: «ألم تسمعيني؟».

لم يقل لها «عزيزتي» أو «لا أستطيع العيش من دونك»...

ـ بلى، ولكن لم أظن أن هذا أنت.

زاد عمق عبوسه: «هل أنت بخير؟»

مسحت كايت الدموع المتساقطة من عينيها بأصابعها. لماذا جاء في هذا الوقت الذي تبدو فيه في أسوأ حالاتها؟.

سألت بمرارة: «وهل أبدو بخير؟».

ـ تبدين في حالة رهيبة.

ـ آسفة، لا أتقن فن البكاء بلباقة.

قالت ذلك وهي تنفخ أنفها في منديل ورقي. يا للغرابة! إن جزءاً منها يود أن يتخاصم معه لأنه رآها وهي في هذه الحالة أما الجزء الآخر فيشعر بالسعادة لرؤيته ثانية. وكأن حواسها كلها قد استيقظت من نوم عميق وراحت تهتف مرحبة به.

سحب فين كرسياً وجلس بالقرب منها، وسألها: «لماذا تبكين؟».

أعادت إليه السؤال بخشونة: «لماذا برأيك؟».

ـ أبسبب ساب؟

ـ ساب؟

لقد مضى وقت طويل لم تفكر فيه بساب، لذا لزمها بعض الوقت لتفهم ما يقوله. ردت قائلة وهي تجفف ما تحت عينيها من الدمع: «لا، بالطبع لا! ولم تظنني أبكي من أجل ساب؟».

ـ لقد أخبرتني أنك كنت تحبينه يوماً، وعندما رفضت الزواج بي من دون حب ظننت أنك عدت تفكرين به. خشيت أن تعودي إليه ثانية، والآن

ظننت أنك لم تنجحي في ذلك.

ذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة! ولم تعد كايت تعرف هل عليها أن تنتحب أم تضحك. هزت رأسها: «لا، لم أكن أبكي بسبب ساب»

ـ لماذا تبكين إذاً؟

لم تجب كايت عن سؤاله، وبدلاً من ذلك سألته: «ما الذي تفعله هنا فين؟».

أجاب ببساطة: «جئت لأراكِ».

نفخت أنفها مرة أخرى، وسحبت نفساً خشناً: «لا تقل لي إن ميغان لم تنفع في الأعمال المنزلية، لقد بدت مناسبة تماماً»

ـ بل إنها جيدة، لكنها تشعر بالضجر معنا، وأظنها تود الانتقال إلى مكان أكثر إثارة.

لم تستطع كايت تخيّل ذلك فردّت: «تشعر بالضجر معكما؟».

ـ لا أحد منا يرغب بالصحبة هذه الأيام، نحن نشعر بالتعاسة.

وسكت قليلاً، ثم قال: «جميعنا نفتقدك»

توقفت كايت عن مسح دموعها عن خديها وسألته: «أحقاً؟».

هز فين رأسه: «ألكس لا تكف عن البكاء مساءً حتى يغلبها النعاس، والكلب أصبح هزيلاً، أما أنا... أنا أفتقدك أكثر منهما معاً».

راح قلب كايت يخفق بقوة، فسألته: «أصحيح ما تقوله»؟

ـ نعم.

واستدار على كرسيه كي يواجهها: «هل تذكرين يوم رحلت ستيلا؟ يومها قالت لألكس ألاّ تدعني أقوم بحماقة. حسناً، أظن أنني ارتكبت حماقة، فأنا لم أخبرك بما أشعر به نحوك»

بالكاد استطاعت كايت أن تلتقط أنفاسها، وسألته: «لِمَ لم تفعل؟».

ـ خشيت أن تقولي إنني كبير في السن بالنسبة إليك... وإنني أبدو قاسياً فقد كنت دائماً تظهرين حبك للمرح. كنت أتذكر دائماً ما أخبرتني به

www.elromancia.com

عن ساب، ففكرت أنك تفضلين شخصاً أصغر سناً، أما أنا فلم أكن من النوع المفضل لديك. لم أحتمل فكرة رحيلك، لذا حاولت إقناعك بالبقاء مظهراً الأمر على أنه مجرد وظيفة. وكانت تلك حماقة مني، كما شرحت لي شقيقتي العزيزة مؤخراً.

- هل تعلم ستيلا بأمر الخطوبة المزيفة؟

- باتت تعلم الآن. لقد اتصلت بها ألكس وأخبرتها أنني ارتكبت حماقة، فهي قد أوصتها بأن تعلمها بذلك. ولم أشعر إلاّ وشقيقتي تسألني عبر الهاتف عن القصة بأكملها، أرادت أن تعلم لِمَ أفلتت من يدي أعظم فرصة للسعادة حصلت عليها منذ سنوات. فأخبرتها أنني طلبت منك أن تتزوجيني ولم توافقي على طلبي. ولم يلزمها وقت طويل لتنتزع مني الحقيقة كاملة. ولم تصدق أنني تصرفت بهذا المقدار من الغباء فراحت تقول: «هذه حماقة لا تغتفر بالنسبة إلى شخص ذكي مثلك»... وهكذا...

ابتسمت كايت ابتسامة هزيلة، فقد تخيلت أنها تسمع ستيلا وهي تقول له ذلك.

- نصحتني بأن آتي إلى هنا وأخبرك بكل ما لم استطع أن أقوله لك من قبل. وها أناذا!

أخفض بصره وراح ينظر إلى يديه. ثم نظر مباشرة إلى عيني كايت، اللتين ما تزالان حمراوين ومليئتين بالدمع، مع أنهما بدتا مشرقتين بالأمل.

- هل يمكنني أن أتكلم الآن أم أن ذلك لن يشعرك بالارتياح؟

ابتلعت كايت ريقها: «نعم. أود أن أسمعك».

- لم أخبرك بمقدار حبي لك، لم أخبرك بأن المنزل يبدو فارغاً من دونك، وبأن حياتي باتت فارغة من دونك أيضاً.

ثم أخذ يديها بكلتي يديه وشدّ عليهما بقوة: «يمكنني أن أقل ألكس إلى المدرسة وأن أحضرها منها ويمكنني أن آخذ الكلب في نزهاته المعتادة، كما أستطيع القيام بأعمال الطهو والتنظيف... أستطيع تدبر هذه الأمور

كلها، لكنني لا أستطيع العيش من دونك. أريد أن أستيقظ صباحاً لأجدك إلى جانبي... أن أعود مساءً إلى المنزل لأجدك بانتظاري»

ثم صمت قليلاً ليهمس بصوت منخفض: «كايت، أنا لم أخبرك كم أنا بحاجة إليك».

شعرت كايت بغليان في داخلها، راح يمتد ليشمل كل خلية من خلايا جسمها. وسألته: «ماذا عن إيزابيل؟».

أجابها بهدوء: «لقد أحببت إيزابيل، وهذا أمر لا يمكن تغييره. لكنني لم أعد أشعر أن جزءاً من حياتي مفقود بسبب غيابها. لم أتوقع أنني سأقع في الحب مرة ثانية، ظننت أنني حصلت على نصيبي من الحب، وأنني لن أحصل على فرصة أخرى للسعادة. ثم أتيت أنت وقلبت حياتي رأساً على عقب، فجعلتني أشعر بالسعادة من جديد».

اشتد ضغط أصابعه على أصابعها وقال: «أنت لست بديلاً عن إيزابيل. أنا أريدك لشخصك فقط، فأنا أحتاج إليك»

بدت العينان الرماديتان جدّيتين ودافئتين وهما تنظران إلى عيني كايت: «لو أنني أخبرتك بذلك كلّه عندما طلبت منك الزواج بي، هل كان جوابك سيتغيّر؟».

- نعم.

- حسناً، ماذا لو طلبت منك ذلك ثانية؟

التمعت عيناها بالدموع وهي تقول: «سأقول موافقة».

ولم يعد هناك داع للكلام، جذبها فين نحوه وعانقها بشغف حتى كاد يغمى عليها من فرط السعادة. وكانا ليبقيا على تلك الحالة لساعات لو لم يتدخل الهر الذي سئم من تجاهلهما له فقفز عليهما فجأة، مسبباً خدشاً في ذراع فين. أبعده فين عنه ونظر إلى ذراعه قائلاً: «لِمَ قام بذلك؟».

- إنه يود لفت الانتباه فقط. لم يقصد أن يؤذيك.

- حسناً، عليه أن يعلم أن لدي أشياء أهم منه في الوقت الحاضر.

وعاد يضم كايت بين ذراعيه، ليتوقف لحظة بعد أن خطرت له فكرة فقال بصوت ملؤه التوجس: «آمل ألاّ تحضريه معك إلى المنزل».

ـ أخشى أنني سأفعل، إذ لا يمكنني أن أتركه لبيلا. لكنه لن يسبب أي مشكلة.

نظر فين إلى الخدش في ذراعه قائلاً: «أتوقع أن يصبح منزلنا مأوى للحيوانات الشاردة».

قال ذلك مدعياً الشكوى إلا أنه كان يبتسم ويعانقها من جديد. سألته كايت وهي تضمه بين ذراعيها: «وهل تمانع في ذلك؟».

ـ لن أمانع ما دمت ستكونين هناك.

تنهدت كايت بسعادة وهي تلقي رأسها فوق كتفه وقالت: «على الأقل، سوف تشعر ستيلا بالسعادة الآن».

ـ آه، لا. انتظري حتى نقيم الزفاف، إذ سوف تبدأ بالإلحاح علينا لأن ألكس تحتاج إلى أخ أو أخت.

ضحكت كايت وعانقته من جديد: «لا مانع لدي بأن نفعل شيئاً بهذا الشأن».

ـ هل ستفعلين أي شيء لإرضاء شقيقتي؟

ـ نعم أي شيء.

www.elromancia.com